مغامرات

أرسين لوبين

www.dvd4arab.com
therock1978

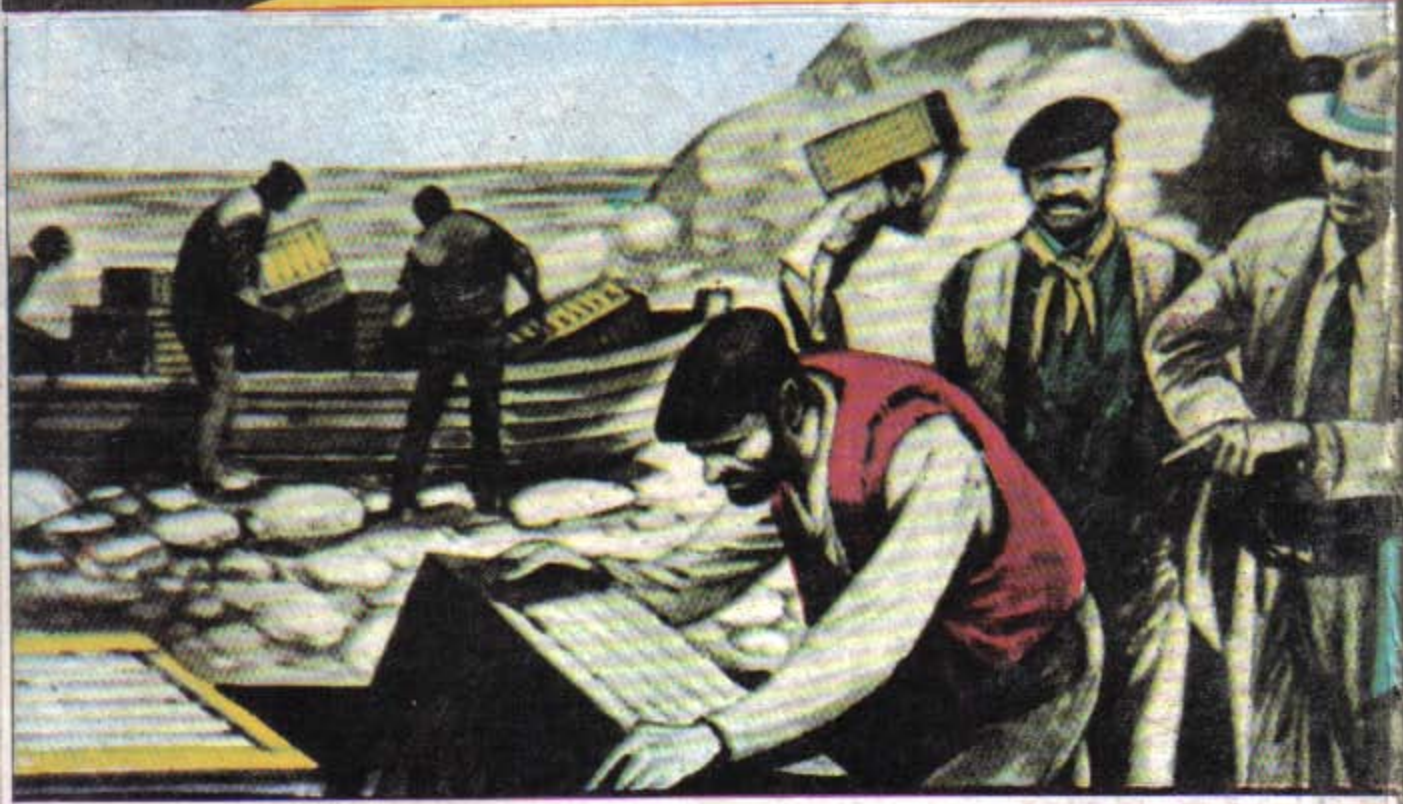

كنوز أرسين لوبين

الفصل الاول

قبيل منتصف الساعة السادسة بقليل وقد بدأت ظلمة الغسق تشتد وتتكاثف وصل جنديان الى مفرق الطريق الذى يقع فى مواجهته متحف جاليرا عند ملتقى شارع دى شايو وشارع بيير شارو .

ـ وكان أحدهما يلبس قبعة فرق المشاة الزرقاء أما الثانى ـ وكان سنغاليا ـ فيرتدى بذلة من الطراز الذى تقرر عند اعلان الحرب ان يتخذه جنود مستعمرات فرنسا الافريقيون . ولم يكن لاولهما الاساق واحدة هى الساق اليسرى اما الثانى فبترت احدى ذراعيه فلم تبق له الا الذراع اليمنى .

وأخذا يدوران حول الساحة التى تتوسطها مجموعة من التماثيل الجميلة ثم وقفا . ورمى جندى المشاة بعقب سيجارته فالتقطه السنغالى وجذب منه عدة أنفاس ثم اطفأه بأن ضغطه بين سبابته ودمسه فى جيبه .

جرى كل هذا دون ان تتردد بينهما كلمة واحدة .

وفى نفس الوقت تقريبا برز من شارع جاليرا جنديان آخران يتدلى من كتف احدهما شريط الفرسان على حين يضع الثانى على رأسه القبعة التى يرتديها رجال المدفعية . وكان الاول يتوكأ على عكاز ، أما الثانى فيستند الى عصا .

ووقف الاثنان على مقربة من كشك يقع فى نهاية الافريز

ومن شوارع بيير شارو وجرينيول ودى شايو خرج أيضا ثلاثة من الرجال يسيرون على انفراد : احدهم جندى أكتع ، والثانى أعرج من حملة الرماح . اما الثالث فيمشى

محنيا كانما انقسمت سلسلته الفقرية . فتابعوا بريقهم على عصا .

من سكون وتوارى كل واحد منهم خلف احدى الاشجار .

ولم يتبادل احدهم كلمة مع غيره وكان يلوح ان ليس فى هؤلاء المشوهين السبعة من يعرف الآخر . أو حتى يشعر بوجود الآخرين .

وخلف الاشجار أو خلف الكشك أو خلف مجموعة التماثيل ربضوا جامدين لايتحركون . اما السابلة القليلون الذين عبروا هذا المكان غير المطروق فى تلك الليلة فلم يفطنوا الى هذه الاشباح الساكنة لقلة الضوء الذى ينير الميدان .

وأرسلت الساعة دقاتها ايذانا بانتصاف السابعة .

وفى هذه اللحظة فتح باب منزل يطل على الميدان وخرج منه رجل أغلق الباب ثم عبر شارع دى شابو ودار حول الساحة .

وكان هذا الرجل ضابطا يرتدى البذلة الكاكى المعهودة .

وتحت قبعته التى يزينها ثلاث نجوم ذهبية ـ ضمادة من القماش تشتمل رأسه وتخفى جبينه . وكان الرجل طويل القامة شديد النحافة ينتهى فخذه اليمنى عند الركبة بقائمة من الخشب مزودة بكعب من المطاط . وكان يتوكأ على عصا .

ولما انتهى طوافه حول الميدان نزل الى قارعة الطريق فى شارع بيير شارو وجعل يتلفت وينظر فيما حوله فاحصا مدققا .

ونتيجة لهذا الفحص الدقيق قصد الى شجرة فى الميدان

وبطرف عصاه نخس بطنا كانت تبرز من خلف الشجرة فاختفت ولم تعد ترى . وتابع الضابط سيره .

وفى هذه المرة مشى الضابط فى شارع بيير شارو متجها الى قلب باريس حتى اذا بلغ شارع شانزليزيه انتقل الى الافريز الايسر .

وهناك على مسافة مائتى خطوة يقع منزل رحب كبير حول الى مستشفى عند نشوب الحرب ، فوقف الضابط على كثب منه بحيث لايراه من يغادر المستشفى . ولبث يترقب وينتظر .

ومرت بضع دقائق .

وخرج من المستشفى خمسة أشخاص . ثم تبعهم اثنان . وأخيرا ظهرت على العتبة سيدة ترتدى ثياب الممرضات البيضاء وفوقها العباءة الزرقاء التى تزين صدرها شارة الصليب الاحمر .

وغمغم الضابط يقول :

ـ ها هى أخيرا . ! .

وسارت الممرضة فى الطريق الذى سار فيه هو نفسه . وبلغت شارع بيير شارو فمشت فيه على الافريز الايمن متجهة الى مفرق الطريق عند شارع دى شايو .

وكانت تسير فى خطوات رشيقة خفيفة والريح تمرق مشيتها السريعة وتعبث بوشاحها الطويل الازرق ولم يكن خافيا ان لها قواما فتانا وشبابا متفجرا .

وتراجع الضابط الى الخلف وانكمش متسترا بالظلام وأخذ يبعث بعصاه فى الارض راسما بها دوائر متباينة الاحجام .

ولم يكن فى الطريق فى هذه اللحظة أحد سواه وسواها

ولكن حين أخذت الممرضة تعبر شارع مارسو تحركت سيارة كانت تقف فى ذلك الطـــريق وتحولت فى نفس الاتجاه الذى سارت فيه الممرضة .

وكانت هذه السيارة من سيـارات التاكسى . ولاحظ الضابط شيئين : أولهما ان فى السيارة رجلين . وثانيهما أن لاحد هذين الرجلين (وقد استطاع ان يلمحـــه بنظرة خاطفة) شاربا كبيرا وعلى رأسه قبعة رمادية .

وتابعت الممرضة طريقهـا دون أن تلتفت خلفهـــا الى السيارة التى تتعقب خطواتها . اما الضابط فانتقـــل الى الافريز المقابل وجد فى مشيته فى نفس الوقت الذى بدأت فيه السيارة تزيد من سرعتها عندما اقتربت الفتاة من ملتقى الطرق .

وأرسل الضابط بصره فى ارجاء الميدان . وعلى الرغم من علمه بمخابىء السبعة المشوهين فانه لم يلمح شبح واحد منهم . ولم يكن هناك أحد من السابلة ولم تقع عينه سيارة أخرى .

وكان جليا أن الممرضة الشابة لم تفطن الى أنها كانت فى هذه اللحظة موضعا للاهتمام فقد سارت لا تلتفت خلفها ولا تدير رأسها ولا تحاول ان تجد فى مشيتها .

وقصرت ـ على التدريج ـ المســافة التى بينهـــا وبين السيارة حتى أصبحت لاتزيد عن خمســـة عشر مترا . ولما اقتربت من الاشجار المغروسة عند مفرق الطـريق كانت السيارة قد صارت فى محاذاتها تقريبا . وهنا عبر الضابط الطريق وهو يحذر ان يراه أحد وكان واضعا صـفارة بين

شفتيه حتى اذا وقع الحادث المنتظر أمكنه ان ينفخ فيهـــا على الفور .

ووقفت السيارة بغتة .

وفتح بابها فى حركة سريعة ونزل منها الرجلان على قيد أمتار قليلة من الكشك .

وفى نفس اللحظة أطلقت الفتاة صرخة تدل على الفزع ودوت الصفارة وفى نفس الوقت أيضا وثب الرجال السبعة المشوهون من خلف الكشـك والاشـجار والتمـــاثيل وفى أيديهم العصى وانقضوا على الرجلين اللذين هما بالاعتـــداء على الفتاة .

ولم تدم المعركة الا وقتا قصيرا . أو بعبارة أخرى انه لم تكن هناك معركة على الاطلاق . فحين أدرك السائق منذ البداية ان الخطر محدق به انطلق هاربا بسيارته . أمـا الرجلان فقد أدركا ان خطتهما حبطت ولم يجدا أمام هذه العصى المرفوعة وهذه الاصوات الصاخبة المتوعدة وهـــذا المسدس الذى يصوبه اليهما الضابط ـ لم يجدا مفرا من الهرب فتركا الفتاة وغابا فى احشاء الظـــلام متجهين الى شارع جرينيول .

وصاح الضابط بالجندى السنغالى :

ـ اسرع يافابون ولا تعد الى الا واصـــابعك فى عنق احدهما وخف الضابط الى الفتاة المرتعدة فأسندها بذراعه وقد أوشكت ان يغشى عليها وقال لها فى عطف :

ـ لا تخشى شيئا يا ماما كورالى .. اننى الكابتن بلفال باتريس بلفال .

فتمتمت تقول :

ـ آه .. أهذا أنت يا كابتن ؟

– نعم هؤلاء هم أصدقاؤك خفوا الى نجدتك ، جميع جرحاك القدماء الذين عنيت بهم فى المستشفى وقدجمعتهم من المصحة حيث يقضون أيام النقاهة .

– شكرا .. شكرا .

ثم اردفت تقول فى صوت متهدج :

– والآخران . ؟ هذا الرجلان . ؟

–هربا وقد انطلق فابون فى اثرهما .

– ولكن ما الذى يبتغيان منى ؟ واية معجزة ساقتك الى فى هذه اللحظة ؟

– سنتحدث عن هذا فيما بعد يا ماما كورالى . أما الان فلنتحدث عنك انت .. الى أين تريدين أن أذهب بك ؟ يحسن بنا ان نلجأ الى هذا البيت حتى تصيبى شيئا من الراحة .

وقادها الى البيت الذى شوهد وهو يخرج منه منذ ثلاثة أرباع الساعة فرافقته الفتاة دون أن تبدى أيةمعارضة .. فجلسا فى قاعة الاستقبال الواقعة فى الطابق الارضى واشعل الضابط نارا فى المدفأة . ثم التفت الى رجاله قائلا :–

– هات لنا قدحا من الشراب يا بولار .

فقالت الفتاة :

– يكفينى قدح من الماء .

وكانت لاتزال شاحبة اللون مرتعدة الشفتين . ولكن الابتسامة التى شاعت فى وجهها كانت توحى بالثقة والاطمئنان وما لبث الرجال ان التفوا جميعا حولها .. الاعرج والاكتع والمحدوب الظهر أولئك المشوهون العجزة

الذين عنيت بها ماما كورالى فى يوم من الايام وأخذوا يصاحفونها فى حرارة :

واغرورقت عيناها بالعبرات وهتف باتريس بلفال قائلا :

– آه ! اتبكين يا ماما كورالى ؟ انك بهذه العبرات تمكنت من غزو القلوب .. فعندما يرقد أحدنا على فراش الألم ، والاوجاع تمزق بدنه تمزيقا يراك وقد انحدرت الدموع من عينيك فيقول لنفسه ان ماما كورالى تبكى من أجل اطفالها ! وعند ذلك نقرض على اسنانا ونحبس آلامنا حتى لانراك وأنت تبكين .

وها أنت ذا تعودين الى البكاء مرة أخرى . ! ولكن حسبك هذا يا ماما كورالى . انك تحبيننا ونحن نحبك فهيا ابتسمى يا أماه .. ها هو ذا فابون قد رجع . وفابون لا يحب أبدا ان يراك باكية .

فهبت الفتاة واقفة فجأة وقالت :

– أتظنه قد لحق بأحد هذين الرجلين . ؟

– طبعا .. لقد سألته أن يعود الى بأحدهما .. وفابون لا يعصى لى أمرا .. ولكنى أخشى شيئا واحدا .

ومشوا الى الردهة ورأوا السنغالى يصعد الدرج ، وقد انطبقت أصابع يده اليمنى على عنق رجل يجره خلفه فصاح به الكابتن :

– دعه .. ! دعه ..

فرفع السنغالى أصابعه عن عنق الرجل الذى تدحرج على الارض بلا حراك ، فتمتم الكابتن بلفال قائلا :

– هذا ما كنت أخشى .. ! ليس لفابون الا يده اليمنى

.. ولكن اذا انطبقت أصابع هذه اليد على عنق شخص ما فنجاته من الموت اختناقا تعد أعجوبة من الاعاجيب .

وكان فابون عملاقا أسود اللون ، مجعد الشعر ، غليظ الشفتين ، تتدلى من صدره ثلاثة أوسمة ، اذ أبلى فى الحرب بلاءا حسنا حتى ذلك اليوم الذى أصابته فيه قنبلة نسفت ذراعه اليسرى وشطرا من وجهه ، فلما برىء من جراحه كان له فم يخيل لمن يراه انه منفرج عن ضحكة لاتسكن كما فقد القدرة على الكلام . فلا تنفرج شفتاه الا عن همهمة ودمدمة شبيهة بدمدمة الحيوان .

وجعل السنغالى ينظر الى رئيسه والى فريسته فى صمت كأنه كلب صيد ظفر بالطريدة ، وقال له الضابط :

ـ أحسنت يافابون ، ولكن يحسن بك فى المرة التالية أن تكون أكثر رحمة .

وانحنى فوق الرجل وجس نبضه فأدرك انه لم يمت وانه مغمى عليه فقط ، فالتفت الى الممرضة وقال ـ أتعرفينه فاجابته قائلة : كلا .

وفتش الكابتن بلفال جيوب الرجل فلم يعثر فيها على شىء ، فقال وهو ينهض واقفا :

ـ فلننتظر اذن حتى يستفيق لنستجوبه .. أشدد وثاقه يا فابون واسهر على حراسته . أما انتم أيها الرفاق فقد حانت ساعة عودتكم الى المصلحة . فهيا ودعوا أمكم وانصرفوا .

ولما انصرف الرجال . قال الضابط يحدث الممرضة :

ـ والان فلنتحدث يا ماما كورالى .. ولكن اصغى الى قبل كل شىء وسأوجز فيما أقول .

تعلمين يا ماما كورالى انى غادرت المستشفى منذ ثمانية أيام لأقيم فى مصحة شارع مايوت الملحقة بالمستشفى والمخصصة للناقهين . جرت عادتى بأن أغادر المصلحة فى كل صباح على ان أعود فى المساء ، فأمضى الوقت أتجول فى الحدائق أو أزور أصدقائى القدماء .

وفى هذا الصباح قصدت الى مطعم كبير لاقابل صديقا لى ، فشاءت الصدف أن ينتهى الى سمعى على غير انتظار خاتمة حديث كان يدور على مقربة منى ، وذلك ان قاعة المطعم مشطورة الى قسمين يفصل بينهما حاجز فى ارتفاع قامة الرجل . وأحد القسمين مخصص لمن يطلبون القهوة أما الثانى فمخصص لمن يرغبون فى تناول الطعام .. وكنت وحدى فى قسم الطعام على حين كان الرجلان اللذان يتبادلان الحديث فى الناحية الاخرى والحاجز قائم بينى وبينهما ، وهما يتحدثان فى صوت مسموع . وحين لفت نظرى حديثهما وأدهشنى دونته فى هذه المفكرة .

وأخرج من جيبه مفكرة ثم استرسل قائلا :

ـ وهذه العبارات التى أثارت انتباهى لسبب ستدركينه الآن سبقتها عبارات أخرى عن شرر أطلق فى الهواء مرتين قبل الحرب . وهذا الشرر عبارة عن علامة تطلق فى الليل ايذانا بأن العمل وشيك بأن يبدأ .. فهل لاتدلك هذه العبارات على شىء ما . ؟

ـ كلا .. ولكن لماذا تسألنى . ؟

ـ سترين الان ما يبعثنى على توجيه هذا السؤال اليك . وقد نسيت أن أذكر لك ان هذين الرجلين كانا يتحدثان باللغة الانجليزية وفى أسلوب صحيح . ولكن

لهجتهما تدل بكل تأكيد على انهما ليسا انجليزيين . وهاك نص ما دار بينهما . وقد نقلته الى الفرنسية فى أمانة تامة:

قال أحد الرجلين : اذن يمكن ان يقال أن كل شىء يسير على ما يرام . وستكونان انت وهو فى المكان المعين قبل الساعة السابعة بقليل فى هذا المساء .. ؟

ـ نعم .. سنذهب يا كولونيل . وقد اعددنا السيارة

ـ حسنا .. وانت تعلم طبعا أن الفتاة تغادرالمستشفى فى الساعة السابعة .

ـ كن مطمئنا اذ لن تقع آية غلطة فانها اعتادت ان تسير دائما فى نفس الطريق مارة بشارع بيير شارو .

ـ حسنا .. اما أنا فسأكون فى انتظاركما فى سيارة فى المكان الذى تعرفه فتسلمنى الفتاة وتصبح منذ هذه اللحظة سادة الموقف .

فضحك الرجل الثانى وقال :

ـ وتصبح أنت يا كولونيل سيدا للفتاة والواقع انها جميلة فاتنة .

ـ هذا صحيح . وقد مر زمن طويل وانا أراها دون ان يسعدنى الحظ بالتعرف اليها . ولكنى سأغتنم هذه الفرصة لكى اتعرف اليها على الوجه الذى يرضينى . ! ثم اردف الكولونيل قائلا :

ـ وستبكى طبعا .. وستصرخ .. وقد تعضنى . ولكنى أحب هذا ويروقنى من الفتاة ان تقاومنى حتى أشعر بلذة الانتصار .

ثم أخذ الكولونيل يضحك فى وحشية . وسمعتهما ينقدان الجرسون ثمن ما طلبا تهيؤا للانصراف فنهضت

بدورى واسرعت الى الباب . ولكنى لم أر الا رجلا واحدا يخرج الى الطريق . وكان ذا شارب كبير وعلى رأسه قبعة رمادية . اما الثانى فانصرف من الباب الذى يفضى الى الشارع المجاور . ولم تكن فى الطريق الا سيارة واحدة استقلها الرجل ومضى فاستحال على ان اتعقبها .. ولكن لما كنت أعرف يا ماما كورالى انك تغادرين المستشفى فى الساعة السابعة من كل مساء وتسيرين دائما فى شارع بيير شارو فقد خطر لى انك انت المقصودة بهذا الحديث .

وكف الكابتن بلفال عن الكلام . وفكرت الفتاة قليلا والقلق يعلو وجهها ثم قالت :

ـ ولم لم تخطرنى . ؟

ـ اخطرك . ! واذا فرضنا انك لست انت المقصودة بهذا الحديث فلم ازعجك وابث الخوف فى نفسك . ؟ واذا كنت انت المقصودة فأى فائدة فى ان تأخذى الحذر . ؟ فان اعداءك سيتخذون العدة لهجمة أخرى اذا حبطت خطتهم الليلة . ومن الخير ان نكون على علم بما ينصبون لك من شراك بدلا من ان نفاجأ على جهل منا .. كلا .. لقد كانت الحكمة تقضى بأن اتخذ العدة سرا لأدرأ عنك الاعتداء .. وهكذا جمعت جرحاك القدماء الذين يقضون أيام النقاهة فى المصحة كما طلبت الى صديق لى يسكن هذا البيت ان يضعه تحت تصرفى فيما بين الساعة السادسة والتاسعة .. والان يا ماما كورالى وقد علمت من الامر مثلما أعلم ـ فهيا حدثينى برأيك .

فاجابته الفتاة بقولها وهى تمد اليه يدها :

ـ رأيى انك انقذتنى من خطر جسيم أجهله . وانى لممتنة

لك أشد الامتنان

– انى لا أبغى منك شكرا .. حسبى انى نجحت .. انى أريد منك رأيك فى الحادث وظروفه . فاجابته فى غير تردد :

– لا رأى لى فيما حدث .. وليس فيما ذكرت لى كلمة واحدة او اشارة واحدة يمكن ان توقظ فى نفسى شيئا من الشبهة ضد أى شخص . أليس لك أعداء . ؟ – كلا .

– وهذا الرجل الذى كان فى نية المعتدين ان يسلماك اليه والذى يزعم انه يعرفك . ؟ فاحمر وجهها قليلا وقالت :

– كل امرأة تلقى فى حياتها طبعا رجالا يهتمون بها خفية أو علانية ولكنى لا أستطيع ان أزعم انى أعرف هذا الرجل .

فلبث الكابتن بلفال صامتا برهة من الوقت ثم قال :

– اذن فليس أمامنا الا أن نستجوب اسيرنا فاذا أبى ان يتكلم . اسلمناه الى البوليس فاجفلت الفتاة وهتفت قائلة : البوليس ؟ .

– طبعا .. فان هذا الرجل من حق البوليس لا من حقى انا .

فصاحت الفتاة فى انفعال : كلا .. كلا .. لا تسلمه الى البوليس مهما يكن من أمره . ! اتريد ان يزج البوليس نفسه فى حياتى الخاصة . !؟ الا تعلم ان التحقيق سيفضى الى ادماج اسمى فى هذا الموضوع .

– ولكنى لا استطيع يا ماما كورالى ان ..

– ارجوك .. اتوسل اليك يا صديقى .. التمس لى

مخرجا من هذه الورطة . لا أريد أن تلوك الصحف ر. اسمى .

فجعل الكابتن بلفال يرقبها وقد ادهشه انفعالها ثم قال أخيرا :

– انى أتعهد لك يا ماما كورالى بان لا يتحدث عنك احد

– وهذا الرجل ؟ ما الذى تنوى ان تفعل به ؟

فضحك وقال : يا الهى . ؟ سارجوه أولا فى خضوع واحترام بان يتفضل بالاجابة على اسئلتى اذا طاب له ذلك . ثم أشكره على عطفه وفضله . وبعد ذلك اطلب اليه ان يتكرم بالانسحاب .

ثم نهض واقفا وهو يقول : اتحبين ان تريه يا ماما كورالى ؟

– كلا .. انى متعبة جدا . فاذا لم تكن بك حاجة الى فاستجوبه على انفراد . ثم اخبرنى فيما بعد بما تم .

ولاح عليها حقا انها متعبة فلم يشأ الكابتن ان يلح عليها فتركها وحدها وخرج الى الردهة بعد ان أغلق الباب خلفه .

وسمعته يهتف فجاة : يا الهى .. لقد مات .

فانطلقت الى خارج الغرفة وهى تهتف :

– هل قتله فابون ؟

– كلا .. انه ليس فابون .

– من اذن ؟ . – شركاؤه .

– اذن فقد رجعوا . – نعم .. وخنقوه ! .

– خنقوه .. يا الهى .. انى لا أصدق هذا ! .

واقتربت من الاسير وانحنت فوقه تتأمل وجهه الشاحب

شحوب الموت . ورأت خيطا من الحرير الاحمر مشدودا حول عنقه . وكان جثة هامدة ! .

الفصل الثانى

ارتدت الفتاة الى قاعة الاستقبال وغاب عنها الكابتن باتريس بلفال لحظات ثم رجع اليها فقال :

ـ مات الرجل الذى كنا نعول على أقواله لجلاء ما غمض من هذا الحادث . لقد فتشته فوجدت اسمه منقوشا على ساعته . انه نذل يدعى مصطفى روفاليوف ، فهل تعرفين شخصا بهذا الاسم ؟ فلما أجابت سلبا قال :

سأعهد الى فابون بأن يحمله تحت ابطه ويعبر به الميدان مغتنما قلة السابلة ليلقيه فى حديقة متحف جاليرا وبهذا نكون قد وضعنا حدا نهائيا للمسألة يا ماما كورالى . ولن يتكلم عنك أحد . ولهذا يجب ان اقتضيك كلمة شكر .

ثم أخذ يضحك واستطرد قائلا :

ـ نعم اشكريني ، ولكن لا تثنى على فانى لا أستحق منك ثناء فانى كحارس سجن أخيب الناس . فتحت سمعى وبصرى ينسل شركاؤه الى البيت ويخنقونه ، فكيف غاب عنى ان شريكه الثانى ـ ذا القبعة الرمادية ـ هرب واندر بما حدث الشريك الثالث الذى كان فى الانتظار فى السيارة فرجع الاثنان لنجدة زميلهما . وبينما كنت أتبادل معك الحديث هنا اغتصبا الباب الخلفى المتصل بسلم الخدم ودخلا الى المطبخ فألى الغرفة ورأيا زميلهما ملقى على الاريكة وهو غائب عن صوابه . واستحال عليهما ان يخرجاه خشية ان يشعر بهما فابون الذى كان ساهرا على الحراسة فى الردهة عند الباب الثانى فما كان من هذا الرجل الا ان

القى خيطه الحريرى الاحمر حول عنق مصطفى وشده فخنقه على الفور حتى يأمنا الا يفشى سرهما اذا ما أفاق . وهكذا لفظ الرجل أنفاسه دون أن تصدر عنه حركة واحدة او شهقة واحدة . ثم كل شىء فى الظلام وفى سكون .. حصرا .. وقتلا .. وانصرفا .. وهكذا تم كل شىء .. ولن ينكلم أسيرنا .

. وكف بغتة وجعل يدير عينيه فى وجه كورالى الجميل ثم جلس الى جوارها وقال فى صوت لطيف :

ـ انى لا اعرف عنك شيئا .. ؟ فى المستشفى يناديك الاطباء والممرضات باسم مدام كورالى . اما جرحاك فينادونك باسم ماما كورالى ولكن ما هو اسمك الحقيقى سواء كنت زوجة أو عذراء . ؟ وهل انت متزوجة أو ارملة ؟ وأين تقيمين . ؟ هذه كلها اسئلة تدور فى ذهنى ولا أجد أيا جوابا . فى كل يوم وفى نفس الوقت تقريبا تصلين الى المستشفى أو تغادرينها وتسيرين فى طريق واحد لا يتغير . وفى بعض الاحيان أرى خادما عجوزا وخط المشيب رأسه ولحيته وعلى عينيه نظارة صفراء اللون يصحبك فى الغدو أوفى الرواح . وقد رأيته فى بعض الاحيان ينتظرك على مقعد فى الفناء . وقد سئل عنك أكثر من مرة ، ولكنه اعتصم بالصمت ولم يجب .

على انى اعرف عنك شيئا واحدا : هو انك كريمة القلب محبة للخير وانك .. ترى هل تحظرين على ان اقول ما يجول فى خاطرى . ؟ نعم .. ان لك جمالا باهرا .. وهذا يا ماما كورالى هو كل ما اعرف من حياتك الغامضة .. وهذا الغموض هو الذى يجعلنى اعتقد ان حياتك مكتنفة

بالاسرار وانها مشوبة بالحزن . بل الحزن الشديد . ان من يراك يعتقد انك تعيشين غارقة فى الالام والمتاعب ويحس انك وحيدة ليس فى هذه الدنيا من يعمل على هنائك او يسعى الى تأمين حياتك . انى اعتقد يا ماما كورالى انك فى حاجة الى صديق الى أخ يرشدك ويذود عنك ، فهل ترينى اخطأت فى هذا ؟ .

وكانت الفتاة فى أثناء حديثه قد جمعت شتات نفسها وأخذت تتباعد عنه كأنما تريد ان تقيم حاجزا بينها وبينه وكأنما تكره منه ان يقحم نفسه فى اسرارها وشئونها الخاصة . وتمتمت تقول :

ـ نعم .. لقد أخطأت فيما ذكرت عنى .. ان حياتى بسيطة واضحة كأنها سفر مفتوح ولست فى حاجة الى من يحمينى او يذود عنى .

ـ لست فى حاجة الى من يحميك أو يذود عنك .. وما يكون اذن من أمر هؤلاء الرجال الذين حاولوا اختطافك؟ ما هى اذن هذه المؤامرة التى دبرت ضدك ؟ هذه المؤامرة التى يخشى مدبروها أن تتكشف لك اسرارها فدفعتهم هذه الخشية الى اغتيال أحد شركائهم . فهل تريدون أن تقولى ان هذا ، ان هذا كله عبث لا أهمية له ؟

وكانت الفتاة لاتزال صامتة وفى صمتها روح عدائية لا تشجع على متابعة الحديث . ولكنه ضرب المنضدة بقبضة يده وقال :

ـ اذا كنت ترفضين مساعدتى فانى سأفرضها عليك فرضا .. فهذا هو واجبى وهذا هو حقى .

ـ كلا .. ليس هذا من حقك .

ـ بل من حقى . ولهذا سبب خطير يحملنى حتى على عدم استئذانك أو انتظار موافقتك .

ـ وما هو هذا السبب .. ؟

ـ السبب هو انى أحبك .. !

وغضت الفتاة مى بصرها وقد تخضب وجهها احمراره واسترسل الكابتن بلفال فى صوت مرح طروب قائلا :

ـ ما جوابك اذن . ؟

ـ جوابى يا صديقى هو انى ارجوك ان لا تكرر على مسمعى هذه الكلمات بعد الآن .

ـ اتمنعيننى من ذلك .. ؟

ـ انى امنعك .. !

ـ وما سبب هذا المنع . ؟

ـ السبب ..

واشاحت عنه بوجهها وقالت فى كلمات بطيئة :

ـ السبب هو انى متزوجة .

ولكن هذه الحجة لم تقنع الكابتن بلفال الذى استرسل يقول فى بساطة وجذل :

ـ وما الذى يمنع من ان تتزوجى مرة أخرى .. ؟ مهما لا نزاع فيه ان زوجك طاعن فى السن وانك لا تحبينه ، وسيدرك طبعا انك ما دمت محبوبة ..

ـ لا تزح يا صديقى .

فأخذ بيدها حين رآها تنهض تهيؤا للانصراف وقال :

ـ انك على حق ياماما كورالى . قداخطأت حين كاشفتك بلا مبالاة بهذه الامور الخطيرة اذ كان ينبغى ان أكون أكثر جدية ورصانة .. ان الامر متعلق بحياتك وحياتى . وانى

لاشعر بأن حياتى لابد ان تلتقى بحيـــاتك على الرغم من محاولتك بث العقبات فى الطريق . ولذا لا اريد منك جوابا لان مشيئة الاقدار أكبـر من مشـــيئتك . وانى لاعلم ان الاقدار هى التى ستجمع بيننا .

ـ كلا عدنى بشرفك ان لا تسعى الى مقابلتى أو معرفة اسمى . وبهذه الطريقة استطيع ان أمنحك صداقتى .. ان الاعتراف الذى أفضيت به الى يباعد بينى وبينك . انى لا اريد رجلا فى حياتى .

وقد نطقت الفتاة بهذه الكلمات فى انفعال وصوت متهدج وحاولت ان تسحب يدها من يده ولكنه استبقاها وقال :

ـ انك مخطئة فى هذا .

غير انها دفعته عنها فى محاولة لمغادرة الغـرفة . واذ ذاك وقع حادث عجيب فقد افلتت اصابعها حقيبتها فوقعت على الارض وانفتحت وتناثرت بعض محتـوياتها . فانحنى باتريس بلفال وجمعها وقدمها اليها وهو يقول :

ـ ما هذا .. ؟

وكان الشىء الذى قدمه اليها غلافا صـغيرا انفتـح ايضا عند وقوعه وتناثرت منه حبات مسبحة من الكهرمان التقطها الكابتن بلفال وهو يقول :

ـ مصادفة عجيبة .. حبات الكهرمان الموشاة بالذهب على هذا النمط القديم .. ليس عجيبـــا ان اعثـر على ما يشبهها ؟

وكان ينطق بهذه الكلمات فى صوت خافت كانما يحدث نفسه وقد غفل عن الفتاة الواقفة الى جواره . ولهذا اجفل حين تكلمت قائلة :

ـ ماذا جرى ؟

وكان ممسكا بين أصابعه بحبة أكبر حجما من سـائر الحبات مثبت اليها خيط تتدلى منه حبات أخرى كثيرة . وكانت هذه الحبة مشطورة من الوسط عند الاطار الذهبى الذى يحيطها فلم يكن باقيا منها الا نصـــفها واسترسل الكابتن بلفال قائلا :

ـ انها صدفة عجيبة تجل عن التصـديق . ومع ذلك فالتأكد من الامر ليس صعبا . ولكن دعينى أوجه اليك أولا هذا السؤال : ممن اخذت هذه المسبحة ؟

ـ لم آخذها من أحد .. كانت دائما موجودة عندى .

ـ ولكنها كانت من قبل ملكا لسواك بالطبع .

ـ كانت ملكا لامى بلا شك .

ـ وهل ماتت أمك ؟ .

ـ نعم ماتت . وأنا فى الرابعة من عمرى . وليس فى ذهنى عنها الا صورة مضطربة غير واضحة المعـالم . ولكن اتوجه الى هذه الاسئلة بسبب المسبحة . ؟

ـ نعم .. أو بعبارة أصح بسبب حبة الكهرمان المقسومة قسمين .

وخرج ساعة من جيب صديريته وكانت مشدودة الى سلسلة من الفضة . وفى هذه السلسلة نصف حبـــة من الكهرمان موشاة بالذهب على نفس النمط الذى صيغ بـه الصنف الآخر الذى وقع من حقيبة الفتاة . وكان النصفان من لون واحد وحجم واحد فقالت الفتاة :

ـ ان الامر مصادفة ليس الا .. وان كانت مصـــادفة عجيبة .

– وما يكون رأيك اذا انطبق النصفان احدهما على الآخر تمام الانطباق . ؟

فهتفت قائلة :

– هذا غير ممكن .. هذا مستحيل .

فما كان من الضابط الا ان ضم النصفين احدهما الى الاخر فانطبقا تمام الانطباق .

وكان واضحا ان هذين النصفين كانا من قبل حبةواحدة شطرت نصفين . ولم يكن فى هذا أى شك.

وساد صمت طويل ثم قال الكابتن بلفال :

– ان نصف هذه الحبة موجود عندى منذ طفولتىوانى لاذكر انه كان موجودا فى دولابى ضمن اشياء أخرى عتيقة كالمفاتيح والخواتم وغيرها فأخذته منذ سنتين أو ثلاث وشددته الى سلسلة ساعتى كما شددت غيره من قطع النقود الاثرية ونحوها .. أما من ايى جاءنى هذا النصف فشىء أجهله . ولكن الشىء المؤكد ان هناك شخصا معينا كان يملك هذه الحبة فيما مضى وانه شطرها نصفين . فمن هو هذا الشخص ؟ .

ثم اقترب منها وقال فى صوت خافت :

– لقد هزأت منذ لحظات بمشيئة الاقدار وظننت ان ارادتك ستعلو على هذه المشيئة فهل ادركت الآن خطأك ؟ ها هى الاقدار تجمع بيننا من جديد .. كان فى ماضينا شخص يعرفنى ويعرفك . وقد انحدر منه الينا هذان النصفان . فلعلك قد أدركت الان انى انما استجبت الى نداء قلبى حين عرضت ان ابسط عليك حمايتى وصداقتى .. اننى الان لا اقدم اليك حبا وانما أقدم اليك مجرد صداقة فهل تقبلينها ؟

– كلا .

– الا يكفيك هذا البرهان القاطع على مشيئة الاقدار؟

– يجب ان لا نلتقى بعد الان .

– فليكن .. ولكنى على أية حال سأضع نفسى رهن الظروف . واعتقد ان الاقدار لن تبطىء فى فرض مشيئتها عليك وعلى .. ولكنى اقسم بأنى لن أحاول ان اراك .

– ولن تحاول ان تكتشف اسمى ؟

– اقسم على ذلك .

فمدت اليه يدها مصافحة وهى تقول : وداعا

فكان جوابه : الى اللقاء .

وتناول الكابتن بلفال العشاء فى أحد المطاعم ولم يعد الى المصحة الا فى ساعة متأخرة من الليل .

فسأل اصدقاءه الجرحى :

– ألم تصلنى خطابات . ؟

– كلا يا سيدى الكابتن . ولكن جاءك هذا الطرد الصغير .

– ومن جاء به . ؟

– رسول اعطاه لنا وهو يقول : « هذا للكابتن بلفال » ولم يزد على ذلك شيئا . فوضعته فى مخدعك .

ومضى الكابتن بلفال الى مخدعه ففض اللفافة فرأى فى داخلها صندوقا صغيرا وفى هذا الصندق مفتاح ضخم يعنوه الصدأ . وكان شكل المفتاح صدىء وليست معه أيةرسالة تنبىء عن الغرض منه .. وظن الكابتن بلفال ان الطرد جاءه خطأ فدس المفتاح فى جيبه وهو يقول :

– حسبى اليوم ما رأيت فقد شبعت من الالغازوالاحاجى

فضلا عن ان ساعة النوم قد حانت .

ولكنه حين ذهب الى النافذة ليسدل الستائر رأى من خلال الزجاج حلقات من الشرر تتصاعد الى السماء وقد انبعثت من ناحية غابة بولونيا .

وحينئذ تذكر الحديث الذى سمعه عفوا فى المطعم والذى دار بين المتآمرين اللذين وضعا الخطة لاختطاف ماما كورالى .. لقد ذكرا فى حديثهما هذا الشرر فترى ما سره ؟

الفصل الثالث

كان باتريس بلفال يعيش فى باريس فى صغره حتى اذا أوفى على الثامنة أرسله أبوه الى لندن وأدخله مدرسة فرنسية هناك لم يخرج منها الا بعد عشرة أعوام .

وكان فى اول الامر يتلقى أنباء أسبوعية من ابيه . وفى أحد الايام دعاه مدير المدرسة وأخبره ان أباه توفى وأن المصروفات الدراسية مدبر أمرها وانه حين يبلغ سن الرشد سيتسلم من أحد المحامين الانجليز مبلغ مائتى الف فرنك خلفها له والده .

ولما آل اليه هذا الميراث سارع الى انفاقه وتبديده ثم بدأ يسعى وراء الرزق . وكان له من نشاطه وشبابه ماحمل الناس على الثقة به والركون اليه فتقلب فى مهن كثيرة . ولما أعلنت الحرب تطوع فى الجيش . وفتنه ما فى الحرب من مغامرات واستطاع بشجاعته ان يظفر ببعض الاوسمة الى ان أصيب بقنبلة فنقل الى مستشفى شارع شانزليزيه فى نفس الوقت الذى التحقت فيه ماما كورالى بهذا المستشفى .

ونجحت العملية الجراحية التى أجريت له وان كان قد

أصيب بمضاعفات عانى من جرائها أوجاعا شديدة ولكنه لبث صامتا لا يشكو ولا يتألم مشيعا فيمن حوله قبسا من مرحه وجذله فاكتسب محبة زملائه .

ولقد كانت ابتسامة ماما كورالى عنده تساوى ساقين مبتورتين بل ذراعين أيضا !

نعم .. فقد صدق حين قال لها انه وقع فى غرامها يوم لمست بيديها الرحيمتين رأسه المخضب بالدماء فكان اذا سمع صوتها انتشى . واذا رأى وجهها فاض بقلبه الهناء .

ولقد اشترك فى الحرب فى معارك لا حصر لها خرج منها ظافرا . ولكنه لم يشعر بلذة الظفر الا فى ذلك اليوم الذى استطاع فيه ان ينقذ ماما كورالى من أيدى اعدائها .

على انه كان يعتقد ان هذه المعركة لن تكون الاخيرة بل هى بداية حرب جديدة . ولقد أخذ يسائل نفسه عما اذا كانت هناك علاقة بين محاولة اختطاف الفتاة وبين حلقات الشرر التى رآها تتصاعد من غابة بولونيا ؟ لقد عرض المتآمران فى حديثهما لاختطاف الفتاة وللشرر . فما هى العلاقة التى بين الحديثين ؟ .

وظل باتريس بلفال واقفا الى جوار النافذة يتأمل الوميض ورجح لديه انه يتصاعد من مكان قريب من ضفة نهر السين يقع بين محطة باسى وتروكادير فقال لنفسه :

— انه على مسافة كيلو مترين أو ثلاثة .. ولكن لاأظن ان من الصعب التحقق من مصدره .

وهبط الى الطابق الثانى حيث تقع غرفة فابون . فاصطحب الزنجى معه فى مغامرته الليلية .

ولما بلغ الكابتن بلفال وتابعه نهاية شارع دى لاتور

تولته الحيرة ، اذ القى نفسه فى مفترق عدة طرق فلم يدر ايها يسلك ولم ير على صفحة السماء المظلمة انعكاس الشرر فقال :

ـ لا شك انه انتهى ٠

هم بأن يعود ادراجه لولا انه رأى فى تلك اللحظة سيارة تخرج من شارع فرنكلين وسمع صوتا فى داخلها يقول للسائق :

ـ انعطف الى اليسار ثم الى اليمين وسر فى اتجاه مستقيم ٠

وخيل الى الكابتن بلفال انه سمع من قبل هذا الصوت الذى تشوبه لكنه أجنبية ، فقد كان بلا شك صوت أحد المتآمرين اللذين سمع حديثهما فى المطعم فقال :

ـ أيكون هذا الرجل أحد الرجلين اللذين حاولا اختطاف ماما كورالى ٠ أعنى ذا القبعة الرمادية ؟ ٠

وفى هذه اللحظة كانت السيارة قد بلغت شارع رانوار ووقفت أمام بات ضخم ونزل منها خمسة رجال قرع أحدهم الباب ٠

وبعد أقل من نصف دقيقة سمع الكابتن باتريس بلفال رنين الجرس للمرة الثانية ٠ وبعد لحظات لمح فى الظلام وهو يقترب من المكان متسترا بالاشجار ـ لمح الباب يفتح فى حذر ويعقب ذلك أصوات خافتة ٠٠ وفى حركة فجائية انقض الرجال الخمسة على الباب ففتحوه عنوة ودخلوا ثم اغلقوه خلفهم ٠

ولم يجرؤ الكابتن بلفال على الدنو من البيت بسبب هذه السيارة الواقفة بالباب خوفا من ان يكون بها أحد ،

ولكنه دار حول المكان حتى بلغ الجزء الخلفى من البيت فرأى أمامه جدارا مرتفعا لا سبيل الى تسلقه ، ولم ير على مقربة من المكان أحدا يستنجد به اذ كانت هذه المنطقة فى ضواحى باريس وتسودها الصبغة الريفية :

وهنا اومأ السنغالى باصبعه فقال له الضابط :

ـ ماذا تريد يافابون ؟ آه ٠٠ أتريد ان ترينى هذا الباب ؟ لقد رأيته من قبل ولكنى تبينت من ضخامته انه متين لايمكن تحطيمه فلا سبيل الى فتحه الا بالمفتاح ٠

وطرأت على باله فكرة ٠٠ ذكر ذلك المفتاح الذى وجده فى اللفافة التى حملها اليه رسول مجهول فدس يده فى جيبه واخرجه ومشى الى الباب فدس المفتاح فى الثقب فولجه بسهولة ، وحين اداره أدهشه ان يدور ، وان هى الالحظات حتى كان الباب مفتوحا فتمتم يقول :

ـ هذا عجيب ٠٠ فلندخل ! ٠

ودفع الباب ودخل السنغالى فى اثره ، فالقى نفسه فى حديقة تقوم على جانبيها الاشجار وفى تلك اللحظة علا نباح كلب من أقصى الحديقة وأعقبه وقع خطوات الكلب وهو يجرى الى ناحيتهما ، فأخرج مسدسه من جيبه وتهيأ لملاقاته ٠٠

وعندما لاح شبح الكلب الضخم يتحرك فى الظلام تقدم السنغالى خطوة فوقف أمام الضابط فصاح به سيده :

ـ دعنى أتلقاه برصاص مسدسى ٠

ولكن قبل ان يتم جملته كان الكلب والسنغالى قد اشتبكا معا وتدحرجا على الارض والضابط واقف على قيد خطوة منهما لا يدرى أيهما الحيوان وأيهما الانسان ٠ وبعد

لحظات نهض السنغالى واقفا والكلب عند قدميه جثة هامدة وقد انشب فى عنقه أصابعه الفولاذية .

وطاف الضابط حول الفناء وهو يتحسس طريقه فى الظلام فرأى درجا ارتقاه وهو حريص على الا يصدر عنه صوت . وفى أعلى الدرج رأى بابا صغيرا .

وصح ما توقعه اذ كان الباب مواربا ، فدفعه ودخل فالقى نفسه فى ردهة صغيرة فى صدرها سلم اخر ارتقاه فاذا هو فى شرفة كبيرة مستديرة الشكل تطل على قاعة اتخذت مكتبة وانتظمت جدرانها رفوف الكتب .

فاقترب الكابتن باتريس على مهل من حافة الشرفة حتى استطاع ان يرى ما يجرى فى القاعة المضاءة الواقعة فى اسفل الشرفة .

وهناك رأى خمسة رجال منقضين على رجل لايملك دفاعا عن نفسه وهم يوثقونه بالحبال . وكان أول خاطر طاف بذهنه هو ان يخرج مسدسه فيصوبه اليهم ويستنجد بصاحبه السنغالى .. ولكنه آثر ان يتريث ليرى ما ينوون ان يصنعوا به فرآهم وقد فرغوا من تقييده ق يكممون فمه وينزعون الحذاء من قدميه . وتكلم أحدهم وقد لاح انه الزعيم قائلا :

ـ مهما صرخت فلن يسمعك أحد :

وعرف بلفال فى صوته ذلك الرجل الذى سمعه يتحدث

ـ ها انت ذا قد وقعت فى ايدينا ايها النذل فلا فى المطعم . وتكلم الرئيس ثانية قائلا :

ـ ها انت ذا قد وقعت فى ايدينا ايها النذل فلا مهرب لك منا . وسنعرف كيف نرغمك على الكلام ..

ألسنا متفقين جميعا على الخطة الواجب اتباعها ايها الرفاق .. ؟

فقال أحد الرجال الاربعة : طبعا .. فلن نتردد مهما حدث .

وساد صمت قصير قطعة الرجل ذو القبعة الرمادية بقوله :

ـ اذن فنحن على استعداد لكل شىء يابورنيف .. ؟ والآن أترفض يا عزيزى ايساريس ان تفضى الينا بسرك .

ورفعوا الرجل وأرقدوه على مقعد كبير ووضعوا قدميه العاريتين على كرسى صغير . وتكلم الزعيم قائلا :

ـ والآن اشووه .. !

وكانت فى القاعة مدفأة تتأجج فيها النيران فدفع الرجال المقعدين حتى صارت قدما الرجل على مقربة من اللهيب . فلما شعر الاسير بالحرارة تلهب قدميه تصلبت عضلات وجهه وانفلتت من فمه على رغم الكمامة صرخة محبوسة تدل على الالم الشديد .

وأخرج باتريس بلفال مسدسه وتهيأ لان يقذف بنفسه فى المعركة .

ولكن فى هذه اللحظة .. وقبل ان يتخذ اية خطوة ايجابية لاحت منه التفاتة الى طرف الشرفة فرأى فى ركنها البعيد شبحا منزويا .

وعلى الضوء المنبعث من القاعة تبين وجه هذا الشبح .. وأذهله انه لم يكن سوى وجه ماما كورالى .. !

الفصل الرابع

ماما كورالى .. ماما كورالى موجودة فى هذا البيت الذى يحتله اعداؤها الذين دبروا مؤامرة اختطافها .. ؟ وما الذى جاء بها الى هذا المكان .. ؟ لاشك انها سلكت نفس السبيل الذى سلكه باتريس بلفال .. رأت الباب الصغير مفتوحا فدخلت وارتقت السلم وألقت نفسها فى شرفة المكتبة .. ولكن لماذا جاءت .. ؟ وأية علاقة لها بهذه الاحداث ؟

دارت هذه الاسئلة فى رأس الكابتن بلفال دون ان يجد لها جوابا وارتفعت صرخة أخرى من الاسير اذ أدنى رجال العصابة قدميه من النار وتكلم قائلا :

– ابعدوه عن النار فحسبه هذا الانذار .

ثم اقترب منه قائلا :

– والان ما هو رأيك يا عزيزى ايساريس ؟ . أراض انت عن هذه التسلية ؟ انك تعلم اننا لن نصبر عليك . هذا البيت ان تتكلم أحرقنا قدميك حرقا . فهل فى نيتك ان تذعن ماذا .. ؟ لازلت مصرا على الرفض ؟ الويل لك اذن .. ! يخيل الى انك لا تدرك حقيقة الموقف . الا تعلم ايها المجنون ان خدمك والبواب جميعهم من رجالى .. واننى امرتهم الا يحضروا الى البيت قبل ثمانية أيام .. ؟ ولقد انصرفوا فعلا فى الوقت الذى حددته لهم . أما الطاهية والوصيفة فغرفتهما فى الجناح الثانى من المنزل ولن تصل صرخاتك الى سمعهما .. وامرأتك لن تسمعك أيضا لان مخدعها بعيد . فاذا كنت ترجو ان يخف سكرتيرك سيمون الى نجدتك فاعلم اذن اننا شددنا وثاقه عند دخولنا حين فتح لنا الباب . والان هيا يابورنيف ولننته من هذه المسألة

فاين حبست السكرتير .. ؟

– فى غرفة البواب

– اتعرف مخدع السيدة .. ؟

– نعم .

– حسنا .. اذهبوا انتم الاربعة الى المخدع وعودوا الى بالسيدة والسكرتير .

وخرج الاربعة من الغرفة يتقدمهم بورنيف . وهنا التفت الزعيم الى الاسير قائلا :

– والآن يا ايساريس وقد ذهب هؤلاء الاغبياء يمكننا ان نتكلم بملء حريتنا .

ثم اقترب من ايساريس وأخذ يحدثه فى صوت خافت قائلا :

– ان رفاقى الاغبياء . ولهذا لم اطلعهم من سرى الا على النذر اليسير وانى اعتقد يا ايساريس اننا خلقنا لنتفق ونتفاهم .. وقد رأيت ان اختلافك معى يعود عليك بالضرر الجسيم فانك الان فى قبضة يدى وفى وسعى ان اعذبك عذابا لا يطاق . ولكنى بدلا من هذا سأعرض عليك صفقة عادلة . لنكن شركاء ولنقتسمه مناصفة . فما رأيك فى هذا

وأزاح الكمامة عن فم الاسير فتكلم هذا فى صوت خافت لم يسمعه الضابط بلفال . فلم يكن من الرئيس الا ان صاح قائلا :

– يا للجرأة يا للقحة ! أتعرض على انا اقتراحا من هذا الطراز اعرض هذا على بورنيف ورفاقه تجدهم راضين مبتهجين .. أما أنا .. أنا الكولونيل فاكهى فلا يمكن ان أرضى بمثل هذا العرض التافه .. اننى ياعزيزى ايساريس

حوت نهم جشع لا يكتفى بالقليل . ومحال ان أقبل حسنة فى حياتى .

وكان باتريس فى خلال هذا الحديث يرسل بصره من حين لآخر الى كورالى وهى واقفة فى طرف الشرفة دون ان تراه اذ كانت ملقية باهتمامها وبصرها الى ما يجرى فى الفناء . وكان وجهها ينم عن القلق والانزعاج وهى تنظر الى هذا الاسير الذى تخطى الخمسين من العمر والذى يعلو كتفيه رأس ضخم يتوسطه أنف اقنى وعينان نفاذتان فوقهما حاجبان كثيفان . وقال باتريس لنفسه :

ـ ان له وجها شرقيا . شبيها بتلك الوجوه التى طالما رأيتها فى مصر وتركيا .

وكانت هذه الاسماء : فاكهى .. مصطفى .. بزرنيف .. ليماريس من الاسماء الشائعة فى بلاد الاتراك أو فى البلقان فلهؤلاء الرجال صلة تمت الى الشرق . وذكر الكابتن بلفال عند هذا انه سمع من قبل باسم « ايساريس بك » فهو تركى نزح الى فرنسا وانشأ بها مصرفا .

وفتح الباب فى هذه اللحظة ودخل الرجال الاربعة يدفعون أمامهم رجلا طاعنا فى السن وقال بورنيف :

ـ ها هو سيمون .

ـ وأين المرأة ؟ .. فقال الزعيم فى لهفة :

ـ لم نجدها .

ـ ماذا تقول .. هل هربت ؟

ـ نعم .. من النافذة .

ـ يجب ان تلحقوا بها فلا أظنها استطاعت ان تبتعد

كثيرا .. أنسيت اننا سمعنا الكلب ينبح منذ قليل . ؟

ـ واذا فرضنا انها استطاعت ان تهرب ..

ـ وكيف يتسنى لها الهرب ؟

ـ من باب الحديقة الصغير .

ـ مستحيل . !

ـ ولماذا . ؟

ـ انه مغلق منذ سنوات .. بل ليس له مفتاح .

فقال بورنيف :

ـ ولكن لا أرى من الحكمة ان نبحث عنها فى الحديقة بمشاعلنا الكهربائية .. وكل هذا من أجل امرأة ..

ـ ولكن هذه المرأة .. انت تعلم انى احبها وانى .. غير ان الكولونيل فاكهى بتر جملته واستدار الى الاسير وقال :

ـ لقد حالفك الحظ مرتين أيها الوغد .. ففى هذا المساء استطاعت زوجتك ان تفلت منى بفضل تطفل ذلك الضابط اللعين والان قد استطاعت الافلات مرة أخرى .

وشعر باتريس بالغضب .. وفهم حقيقة الموقف .. فماما كورالى انما تختبىء فى بيتها .. وهذا الاسير هو زوجها .. ويبدو انها شعرت باقتحام العصابة للبيت فانسلت من مخدعها الى شرفة المكتبة على ان الشىء الذى ادهش باتريس هو انها لم تحاول ان تبذل اى جهد لانقاذ زوجها .. زوجها .. زوجها .. يا للهول . !

وتكلم الزعيم فقال :

ـ لست اكتم عنك يا عزيزى ايساريس انى مفتون بزوجتك .. وكنت أرجو ان اختطفها الليلة من مخدعها

كما كان فى نيتى أن اتخذ منها رهينة أرغمك بها على الافصاح الى بسرك ، فانى اعلم انك تحب كورالى أعظم الحب . ولكن الحظ حالفك فافلتت منى .

وقال باتريس لنفسه :

– كان فى وسع ماما كورالى ان تطل من النافذة وتصرخ مستنجدة فما الذى حملها على السكوت ؟ وكيف ترى زوجها وهو يتعذب وتحرق قدماه على النار دون ان تحاول انقاذه؟

وحمل الرئيس ورقة وقلما ووضعهما الى جوار ايساريس بك وهو يقول :

– اكتب على هذه الورقة مفتاح السر ابعدك عن النار قربوه أيها الرفاق من المدفأة عشرة سنتيمترات أخرى .

ثم تحول الى السكرتير وقال :

– انى أعرف يا سيمون انك شديد الاخلاص لمخدومك ، ولكنى اعرف فى الوقت نفسه ان ايساريس كتوم ويستحيل ان يكون قد اطلعك على سره . فلا فائدة من محاولة ارغامك على الكلام لانك لا تعلم شيئا ، كما انى اعرف انك لن تبلغ الامر الى البوليس اذ لست تجهل ان فى اخطار البوليس دمار سيدك قبل دمارنا ..

وفى نفس الوقت كان افراد العصابة يدنون قدمى الاسير من النيران على التدريج فقال الزعيم :

– بدأ الجلد يحترق فهيا تكلم يا ايساريس فان العروق تكاد تتفجر بالدماء . أو اكتب اذا شئت .. كلا .. ؟ الازلت مصرا على العناد .. ؟ اذن الويل لك .. ضعوا قدميه فى النار ايها الاصدقاء .. ولكن انتظروا .. انى سأعرف كيف انتزع منه الكلام انتزاعا . فى بلادنا يصلمون اذن الاسير وسأصلم اذنه !

واستل الكولونيل فاكهى خنجرا من غمد معلق فى منطقته ودنا من الاسير وشرر الغضب ينبعث من عينيه .

ورأى الكابتن بلفال وهو فى مخبئه على الشرفة منظرا لم يفطن اليه الآخرون .. كان الاسير راقدا على المقعد وال جواره طاولة صغيرة وقد جعل طول الوقت يحرك ذراعه خلسة حتى لامست يده المنضدة . وفى حركات غير ملحوظة فتح درجا فيها وتناول منه مسدسا اخفاه فى راحته .

واقترب الكولونيل فاكهى من ايساريس بك الخنجر مشرع فى يده ثم انحنى فوقه ليصلم اذنه . وفى تلك اللحظة حرك ايساريس يده واطلق رصاصة على قلب عدوه اللدود ، فاعتدل الكولونيل فاكهى واقفا وصاح قائلا وهو يضع يده فوق قلبه .

– لقد قتلنى الوغد ! لقد قتلنى .. ولكنى اتخذت الحيطة . فاذا لم أعد الى دارى الليلة وصل الى مدير البوليس خطاب فيه تفصيل خيانتك لفرنسا .. حكايتك ومشروعاتك كلها .. تبا لك ايها لشقى !

ثم تخاذلت ساقاه على الارض جثة هامدة !

أما بقية أفراد العصابة فوقفوا جامدين فى مكانهم وقد عرفوا لاول مرة ان رئيسهم – بهذا الخطاب – قضى بالدمار على ايساريس بك وعليهم ايضا فى نفس الوقت . لهذا ليثوا واجمين محملقين وقد استولى عليهم الذعر .

وأخيرا دنا بورنيف من ايساريس بك وجرده من مسدسه ثم مضى بورنيف ينقل بصره بين ايساريس بك وجثة الكولونيل فاكهى وكأنما استقر رأيه على شىء معين فأخرج من جيبه خيطا من الحرير الاحمر شبيها بذلك الخيط الذى خنق بواسطته الرجل الذى استطاع فابون ان يلحق به عقب

حادث الاعتداء على ماما كورالى .

واقترب بورنيف من ايساريس بك فوضع الخيط الحريرى حول عنقه بعد ان رفع الكمامة عن فمه قال فى صوت هادىء :

– اصغ الى يا ايساريس .. اننى لست مثل الكولونيل فاكهى ولوعا بتعذيب الناس .. ولكنى بدلا من هذا سأقتلك فى غمضة عين دون ان تشعر بشىء من العذاب . غير اننى على استعداد لان أبقى عليك اذا تكلمت . اننى أريد منك كلمة واحدة .. نعم أو لا .. وعلى هذه الكلمة يتوقف مصيرك .

فتكلم ايساريس قائلا : نعم

فسرت بين رجال العصابة تمتمة تدل على الفرح والابتهاج وقال بورنيف :

اذن فقد قبلت ؟ هذا عين الحكمة يا ايساريس فانك كنت على شفا الموت .. ولكن جوابك يدهشنى فقد قلت للكولونيل انك رجل لا تخاف الموت . وانا أعلم عن جرأتك ما يجعلنى موقنا من ان تلك هى الحقيقة .

– هذا صحيح .. فليس يخيفنى الموت أو التعذيب .

– هل أفهم من ذلك انك ستعرض علينا اقتراحا جديدا؟

– نعم .

– وهل هو اقتراح يستحق العناية . ؟

– نعم .. وقد عرضته على الكولونيل منذ قليل عندما ذهبتم الى مخدع زوجتى فنبذه .

ولماذا أقبل أنا ما نبذه الكولونيل . ؟

– لانك تعلم الا خيار لك فى الامر . فاما ان تقبل فتنال ما اعرض عليك . واما ان ترفض فلا تنال شيئا على الاطلاق

.. وقد غابت هذه الحقيقة عن الكولونيل فلم يفهمنى .

– وما الذى تريد ان تعرضه على . ؟ مالا . ؟

– نعم .

فهز بورنيف كتفيه وقال :

– وهل تحسبنى أرضى بحزمة من الاوراق المالية . ؟ اسمع يا ايساريس اننا فى الواقع نعرف سرك كله .

– كل ما تعلمون هو المحور الذى يدور عليه السر . أما التفصيلات فلا تعلمون من أمرها شيئ .

– موتك سيمهد امامنا البحث .

– موتى ؟ وهل نسيت ان رجال البوليس سيطبقون عليكم جميعا بعد بضع ساعات بفضل الخطاب الذى اتخذ الكولونيل العدة لارساله فى حالة موته ؟ ومن هذا ترى ان لاختيار لك فى الامر . فاما المال الذى اعرضه . واما السجن .

فقال بورنيف وقد اقتنع بوجاهة هذه الحجة :

– واذا قبلنا فمتى يكون الدفع ؟

– على الفور .

– اذن فالمبلغ هنا ؟

– نعم .

– واظنه مبلغا تافها ؟

– كلا .. بل اكبر مما تتصور انت ورفاقك . أكبر بكثير جدا ..

– وكم يبلغ ؟

فكان الجواب :

– اربعة ملايين !

الفصل الخامس

ووسط ذهول أفراد العصابة استطرد ايساريس قائلا :

ـ أربعة ملايين هو أقصى ما يمكن ان تنـــالوا منى ٠ ولست اسألكم شيئا مقابل هذا ٠٠ لا وعدا ولا قسما لانى موقن انكم وقد امتلأت جيوبكم بالمال لن تفكروا الا فى شىء واحد هو ان تهربوا لتبتعدوا عن هذه الجثة حتى لا يقبض عليكم فتحرموا الاستمتاع مما لديكم من المال ٠

وكان لامر من الوضوح والبساطة بحيث لم ير بورنيف ما يدعو الى اللجاج والجدل فقال :

ـ وأين الخزانة ٠ ؟

ـ فى هذه القاعة ٠٠ بين النافذة وحافة الصورة ٠

ـ ولكنى لا أرى شيئا ٠ ؟

ـ لانها خزانة سرية ٠٠ فاللوح الثالث من الحديد لا من الخشب ٠ وفى أركان القاعة الاربعة أزرار خفيـــة اذا ضغطتها انفتحت الخزانة أما قفلها الداخلى فمرتبة رموزه على هذه الحروف « كورا » ٠

وجعل ايساريس يرشد بورنيف الى الطريقة التى تفتح بها الخزانة ٠ وفعلا انشق الجدار فى الموضع الذى أشـار اليه عن خزانة من الحديد يخفيها الجدار ٠ فدس بورنيف يده فى داخلها وأخرج أربع رزم من الاوراق المالية القى برزمة منها الى كل رجل من رفاقه فانكبوا عليها يعدونهـا وهم لا يصدقون ما تلمس ايديهم وما ترى عيونهم ٠

وصاح بهم بورنيف قائلا :

ـ والآن هيا بنا ٠٠ فلنسرع بالهرب ٠

وكان باتريس بلفال على يقين من ان رجلا كايساريس لن يدع رجال العصابة يفلتون بهذه الثروة الضـــخمة وهو

ساكن مكتوف اليـــدين فلابد ان يكون قد دبر الامر بحيث يسترد منهم ماآخذوه ٠ فالرجل الذى يتحمل العذاب بمثـل هذا الجلد ويلقى الموت بلا خوف أو رهبة لايمكن ان يرضخ بمثل هذه السهولة ٠

وقال باتريس لنفسه :

ـ لا شك ان ايساريس أو سـيمون سيضغط الآن زرا خفيا فيقع رجال العصابة فى فخ منصوب أو تصعقهم اسلاك مكهربة ٠٠

ولكن ايساريس لم يتحرك من مكانه ٠

وكذلك لم يتحرك سيمون ٠

ومضت فترة طويلة من الســكون ٠ وهـم باتريس بأن يزايل مكانه لينذر كورالى بوجوده ٠ ولكنه أمسك عن هذا حين رآها تخرج من مخبئها ، وتهبط الدرج الذى يفضى الى المكتبة وهى تمشى على مهل ٠

وسمع زوجها وقع خطواتها وهى تقترب منه ٠ ثم رآها تقف دفعة واحدة ٠٠

وأجفل باتريس حين رأى نظـرة الشر التى تنبعث من عينيها وهى تنحنى الى الارض لتلتقط الخنجر الذى وقع من يد الكولونيل عند مصرعه ٠

وتقدمت الى زوجها خطوتين أخريين ٠٠ وأدار الرجـــل رأسه ونظر اليها ومرت لحظات من الصمت تبـــادل فيهـا الزوجان نظرات طويلة ثابتة ٠ وكانت نظرتها تزخر بالخوف والحقد والرغبة فى الانتقام ٠٠

ورفعت كورالى ذراعها والخنجر مشرع فى يدها ٠ وكان زوجها ينظر اليها لا يتوسل ولا يستعطف ٠٠ كان يتـرقب مصيره بلا وجل أو رهبة ٠

وكان سيمون العجوز لا يزال طريحا على الارض وقيوده تمنعه من التدخل ورفعت كورالى ذراعها أكثر من ذى قبل وتهيأت لاغماد الخنجر . واختارت الموضع الذى سيهوى فيه خنجرها .

ولكنها لم تلبث ان نحت يدها بعيدا ورمت الخنجر الى الارض ودفنت وجهها بين يديها .

ورفعت ماما كورالى يديها عن وجهها وأرسلت بصرها الى الخنجر . وكانت نظرتها اليه مليئة بالرعب والفزع كانما استفاقت من كابوس رهيب ثم التقطته ثانية من الارض واقتربت من زوجها وأخذت تقطع قيوده .

ولم تحاول فى خلال ذلك ان تنظر الى عينى زوجها . وكذلك لم يحاول زوجها ان ينظر اليها . وحين هب واقفا على قدميه لم يوجه الى زوجته كلمة شكر واحدة أو كلمة غضب وتهديد وانما مشى فى صمت وسكون الى جهاز التليفون وهو يستند الى المقاعد بسبب ما أصاب قدميه من الحروق وصاح فى البوق قائلا :

ـ سنترال ٣٩ ـ ٤٠ ثم تحول الى زوجته وقال :

ـ اخرجى . !

ولاح عليها انها لم تسمع قوله . وكانت منكبة فوق سيمون تقطع قيوده أيضا .

وعاد ايساريس يتكلم فى التليفون محدثا عاملة التليفون :

ـ ألو ... اسرعى يا آنسة ... نعم ٣٩ ـ ٤٠ اسرعى .

وتحول للمرة الثانية لى زوجته وقال فى صوت يدل على نفاد الصبر :

ـ اخرجى . !

فأومأت برأسها انها لن تخرج وانها على العكس تريد ان تنصت الى الحديث التليفونى .. فجمع قبضة يده ولوح بها فى الهواء مهددا وقال :

ـ اخرجى .. اخرجى .. انى آمرك بأن تخرجى .. وانت أيضا اخرج يا سيمون . !

فنهض سيمون العجوز واقفا وتقدم الى ناحية ايساريس .. وكان واضحا انه يريد ان يوجه اليه الحديث ولكنه عدل عن ذلك فاستدار الى الباب وخرج دون أن ينطق بكلمة واحدة .

وصاح ايساريس بزوجته :

ـ قلت لك اخرجى .. اخرجى . !

ولكنها اقتربت منه فى غير اكتراث ووجهها ينم عن التحدى . وفى نفس اللحظة تم الاتصال التليفونى فقال ايساريس :

ـ ٣٩ ـ ٤٠ ؟ حسنا

وتردد . وكان واضحا ان وجود كورالى يضايقه وانه لا يريدها ان تسمع حديثه . ولكن الوقت كان ضيقا فيما يظهر فاضطر ان يتكلم فقال بالانجليزية .

ـ أهذا أنت يا جريجوار . ؟ اننى ايساريس .. نعم .. انى أتكلم من شارع رانوار . ولكن لا تضيع الوقت واصغ الى .

وجلس على المقعد واسترسل قائلا :

ـ اسمع ! لقد مات مصطفى . وكذلك الكولونيل ولكن لا تقاطعنى والا هلكنا .. نعم هلكنا أنا وانت .. لقد فاجأونى بغتة .. الكولونيل وبورنيف وسائر رجال

العصابة وسرقونى بالتهديد والوعيد . وقد قتلت الكولونيل ولكنه كان قد أعد رسالة الى مدير البوليس ترسل اليه فى حالة موته .. انك فاهم طبعا خطورة الموقف .. ولقد ذهب بورنيف ورفاقه الثلاثة الى المخبأ ولكنهم سيمرون طبعا ببيوتهم ليجمعوا أوراقهم الشخصية . وأعتقد انهم سيكونون لديك بعد ساعة أو ساعتين على الاكثر .. نعم .. هذا مؤكد فانه الملجأ الامين . وقد أعدوه دون أن يخطر لهم ببال انى صديق لك .. نعم لابد ان يلجأوا اليك فاستمع الى .

وفكر ايساريس بك برهة ثم استرسل قائلا :

ـ معك طبعا المفتاح الاضافى لكل غرفة من غرفهم ؟

حسنا .. ومعك مفاتيح الدواليب أيضا . ؟ هذا بديع .. عليك اذن ان تتسلل الى مخادعهم اذا ما استغرقوا فى النوم وتفتش دواليبهم ، فان من المرجح جدا انهم سيخفون رزم الاوراق المالية فى الدواليب .. نعم الاربعة ملايين التى تعرفها فخذها وضعها فى حقيبة الحق بى على الفور .

ومرت فترة أصغى فيها ايساريس الى حديث صاحبه ثم قال :

ـ ماذا تقول . ؟ شارع رانوار ؟ نعم .. لا تلحق بى هنا ... أمجنون أنت . ! أتتصور ان فى وسعى البقاء بعد ان وشى بنا الكولونيل ؟ كلا . انتظرنى فى الفندق على مقربة من المحطة . وساكون هناك ظهرا أو فى الساعة الواحدة . وربما بعد ذلك .. ولكن انتظرنى على أية حال دون أن يداخلك القلق .. وتناول غداءك وانت مطمئن .. أفاهم أنت ما أقول . ؟ حسنا .. فى هذه الحالة ساكون أنا المسئول عن كل شىء .. فالى اللقاء .

ورد ايساريس السماعة الى مكانها ثم لبس حذاءه

وجوربه . ولم يشأ الكابتن بلفال ان يغادر البيت خشية أن يلحق ايساريس الاذى بزوجته .. ونظر ايساريس الى زوجته قائلا :

ـ ماذا جرى ؟ لماذا تتفرسين فى هكذا ؟ .

فتمتمت فى صوت خافت مغالبة انفعالها :

ـ اذن فالامر صحيح ؟ ولا مجال هناك للريبة والشك .

ـ هل سمعت كل شىء ؟

ـ نعم .. فقد كنت مختبئة فى الشرفة .

ـ ورأيت كل شىء ؟

نعم .

ورأيت كيف كانوا يعذبوننى .. وسمعت صرخاتى .

ومع ذلك بقيت ساكنة دون أن تحاولى أن تدافعى عنى

ـ ما كان لى أن اتدخل وأنا أعلم الحقيقة .

ـ أية حقيقة ؟

ـ الحقيقة التى استربت فيها من أول الامر ولم أجرؤ على تصديقها .

ـ أية حقيقة ؟ ـ خيانتك .. !

ـ انك معتوهة .. ! انى لم أخن أحدا !

ـ انى أجهل طبعا بعض جوانب هذه المسألة ولم أفهم كل ما تحدث عنه هؤلاء الرجال . ولست أعرف ماهو السر الذى يطالبونك بالافضاء به . ولكنى اعلم عن يقين انه سر أساسه خيانة وطنية كبرى .

ـ ان الانسان لا يخون الا وطنه . ولست فرنسيا .

ـ بل انك فرنسى .. لقد طلبت ومنحت الجنسية الفرنسية وتزوجت فى فرنسا وعشت فى فرنسا .. وفى فرنسا جمعت أموالك وثروتك .. فانت اذن تخون فرنسا .

– ولحساب من هذه الخيانة بالله عليك ؟ حتى يمكن ان يقال انى خنت فرنسا .

– هذا ما أجهله .. ولكن منذ شهور . بل منذ سنوات بدأت انت والكولونيل وبورنيف وسائر رجال العصابة تقومون بمشروع هائل .. هائل جدا كما فهمت من اقوالهم .. ولكن يبدو انك الآن بدأت تستأثر بمنافع هذا المشروع دون ان تشرك معك رفاقك فاتهموك بانك غدرت بهم واحتفظت لنفسك بسر لا يخصك وحدك فكانك لم تكتف بخيانة فرنسا وانما اصبحت أيضا لصا وسارقا .

– كفى .. ؟

وضرب بقبضة يده على حافة المنضدة . ولكن غضبته لم تخف الفتاة فاسترسلت قائلة :

– نعم كفى .. اصبت .. فالكلام بيننا لا يجدى .. ان فرارك وحده هو أكبر دليل على خيانتك .. فرارك اعتراف منك بالخيانة .. انك تخاف البوليس .

فهز كتفيه مرة أخرى وقال : انى لا أخاف أحدا .

– ومع هذا تتهيأ للرحيل .. ولكن متى تنوى ان ترحل ؟

– غدا الظهر .

– واذا قبضوا عليك ؟

– لن يقبضوا على .

– لنفرض جدلا انهم قبضوا عليك ؟

– سيطلقون سراحى على الفور .

– يطلقون سراحك ؟ دون تحقيق أو محاكمة ؟

– نعم . اذ لابد ان تطوى القضية دون ان يجرى فيها أى تحقيق .

– ما أعظم تعلقك بالاوهام ! وهل فى نيتك أن تغادر فرنسا ؟

– فى أقرب وقت مستطاع .

– ومتى يكون ذلك ؟

– بعد اسبوعين أو ثلاثة .

– اذن ارجوك ان تخطرنى بسفرك حتى اتنفس الصعداء

– ساخطرك يا كورالى ولكن لسبب آخر .

– وما هو هذا السبب يا ترى ؟

– لكى تلحقى بى . – الحق بك انت ؟

– انك زوجتى ، وعلى الزوجة ان تتبع زوجها الى حيث يذهب .

– لن الحق بك ولن أقابلك بعد الآن مهما هددت وتوعدت .

– ستلحقين بى يا كورالى رضيت أو كرهت . فانى زوجك ولى عليك حق مقدس .. لا أرادة لك أمام ارادتى . لقد جربت ذلك بنفسك الان حين رفعت خنجرك ولكنك لم تجرؤى على اغماده فى صدرى . فكما تبددت غضبتك ستخمد ثورتك هذه وستلحقين بى طائعة مذعنة .

– بل سأبقى لاناضل واكافح ضدك . سأبقى فى هذا البيت نفسه . وسأعمر جميع الآثار التى ستترتب على خيانتك . وسأفعل هذا بلا تردد أو هوادة لاصلح الشر الذى تسببت أنت فيه .

– احذرى يا كورالى ولا تتوهمى فى يوم ما ان لا سبيل لى اليك ، قد تكونين مخطئة وقد تكون نقمتى أقرب اليك مما تظنين فاحذرى .

ثم دق الجرس فدخل سيمون العجوز على الفور فقال له :

– اذن فقد هرب الخدم ؟

وقبل ان ينتظر منه جوابا استرسل قائلا :

ـ ألم تسمع الطاهية أو الوصيفة شيئا مما حدث .. ؟

حسنا .. ومهما يكن من الامر فعليك أن تراقبهما عقب رحيلي .. انى تعب جدا واريد ان أنام قليلا فساعدنى على الصعود الى غرفتى . ولكن ايقظنى فى الساعة السادسة صباحا .

وغادر القاعة مستندا الى ذراع سيمون .

وما ان تباعد وقع خطواته حتى ارتمت كورالى على الاريكة وهى ترتعد لقد تجلدت أمام زوجها فلما خلت الى نفسها خانتها أعصابها ولم تعد تقوى على التجلد .

الفصل السادس

فى تلك الليلة لم يغمض جفن لباتريس بلفال اذ لبث أرقا يفكر فى هذه الحوادث العجيبة التى مرت به وفى الاخطار التى تحدق بماما كورالى .

وبعد ساعتين زايل فراشه وأضاء المصباح الكهربائى وجعل يدون فى مفكرة لديه خلاصة وافية لما وقع . ثم ارتد الى فراشه فأصاب من النوم ما نفى عنه التعب الذى كان يحسه .

وحوالى الساعة السابعة صباحا سمع باتريس طرقا على الباب وصوتا يقول :

ـ انك مطلوب على التليفون يا كابتن .

فخرج الضابط مسرعا وقال للممرضة التى جاءت تدعوه :

ـ ومن الذى يطلبنى .. ؟

ـ لا أدرى . ولكنه صوت رجل تدل لهجته على انه

يرغب فى ان يتحدث اليك بسرعة . وقد دق الجرس طويلا اذ كنت فى المطبخ .

ونزل باتريس مسرعا الى الطابق الارضى حيث يوجد التليفون وقال :

ـ آلو .. انا الكابتن بلفال .

وسمع صوتا .. صوت رجل يجيبه . فى كلمات متقطعة تدل على الانفعال الشديد :

ـ كابتن بلفال .. كابتن بلفال .. ! أهذا أنت أخيرا .. ! كنت اخشى ان يفوت الوقت .. ! دون أن أتمكن من ان افضى اليك بما فى نفسى .. هل وصلك المفتاح والخطاب .. ؟

ـ ولكن من انت أولا .. ؟

فقال الصوت فى الحاح :

ـ هل وصلك المفتاح والخطاب .. ؟

ـ وصلنى المفتاح . أما الخطاب فلا .

ـ لم يصلك الخطاب .. ؟ هذا عجيب .. ! اذن فانت لم تعرف .. ؟ وسمع باتريس من الطرف الآخر صرخة داوية وأصواتا غامضة تدل على لجاج وحوار . ثم سمع صوت محدثه يقول ثانية فى صوت آجش :

ـ فات الوقت .. أهذا أنت يا باتريس .. ؟ اصغ الى .. ميدالية الكهرمان .. انها معى .. الميدالية .. آه .. لقد فات الوقت . كم كنت أتمنى .. باتريس .. كورالى .. باترس .. باتريس ..

وأعقبت هذا صرخة جديدة ، صرخة حادة تدل على الرعب والفزع . وسمع باتريس صوتا بعيدا يصيح :

ـ النجدة .. ! النجدة .. ! تبا لك أيها القاتل .. !

وتلت هذا جلبة خافتة ثم تكون شامل . وبعد ذلك

سمع باتريس صوت السماعة وهى توضع مكانها .

ولم يستغرق ما حدث أكثر من عشرين ثانية .

ولبث باتريس فى مكانه ذاهلا لا يدرى ماذا يصنع . وأرسل بصره الى الساعة فرآها قد تجاوزت السابعة بتسع عشرة دقيقة فانطبع الوقت فى ذهنه . ثم استفاق من ذهوله .

وخطرت له فكرة .. ان من المحتمل جدا بل من المؤكد ان يكون هذا الحادث قد وقع فى بيت ايساريس بك فلم لا يحاول ان يكتشف سر الامر بنفسه بدلا من الالتجاء الى البوليس !

وتناول السماعة وطلب رقم ايساريس بك . وبعد لحظات سمع صوتا يقول :

ـ آلو ! . من هناك .. ؟

وكان هذا هو صوت ايساريس نفسه .

ـ مسيو ايساريس بك من فضلك .. ؟

ـ انا ايساريس .

ـ انى اخاطبك من طرف أحد الجرحى الموجودين فى المصحة .

فقال ايساريس على الفور :

ـ لعلك الكابتن بلفال .. ؟

فدهش باتريس وعجب كيف عرف زوج كورالى اسمه . ولم ير ما يدعو الى الانكار فقال :

ـ نعم انا الكابتن بلفال نفسه

ـ ما أسعدنى بهذه الفرصة يا كابتن .. لقد تحدثت منذ لحظات مع المصحة وطلبت ان اخاطبك ..

فصاح الكابتن باتريس مقاطعا :

ـ اذن فانت الذى طلبتنى . ؟

ـ نعم .. أردت ان اعرف متى يمكننى ان اقابلك لاقدم اليك شكرى على ما فعلت .

ولكن باتريس استرسل فى انفعال قائلا :

ـ اذن فقد كنت انت . ! اذن فقد كنت انت . !

فقال ايساريس فى دهشة :

ـ نعم .. يظهر ان الصدفة ادهشتك .. لكن مما يؤسف له ان الحديث قطع اذ اشتبك خطى مع خط آخر فيما يظهر .

ـ اذن فقد سمعت . ؟

ـ سمعت ماذا يا كابتن :

ـ الصرخات .

ـ صرخات . ؟

ـ أو هذا هو ما خيل الى على الاقل فقد كانت الاصوات غير واضحة .

ـ انى فى الواقع لم اسمع صراخا .. ولكنى سمعت صوت رجل يسأل عنك فى اهتمام ولاح لى من لهجته انه شديد الاستعجال فآثرت ان انسحب وقطعت الاتصال التليفونى فان لدى متسعا من الوقت لاتصل بك مرة أخرى لاشكرك .

ـ وعلام الشكر .. ؟

ـ على انقاذك زوجتى من ايدى الذين اعتدوا عليها . وبودى ان اقابلك لاقدم اليك الشكر بنفسى فهل يمكن ان نلتقى فى المصحة فى الساعة الثالثة مثلا . ؟

واسترسل ايساريس بك يضرب على نغمة الشكر والاعتراف بالجميل حتى انتهى الحديث التليفونى .

ورجع الكابتن بلفال الى مخدعه وقد تبدد انفعاله الى حد كبير .

وفى الساعة العاشرة استقل الكابتن باتريس سيارة وذهب الى (باس) ووقف عند مفترق الطرق ينتظر . وبعد قليل رأى ماما كورالى تخرج من شارع رانوار وفى رفقتها صعد اليها مع الفتاة ومضيا الى المستشفى وباتريس فى السكرتير العجوز سيمون . واستوقف سيمون سيارة صعد اليها مع الفتاة ومضيا الى المستشفى وباتريس فى أثرهما .

وتناول الكابتن بلفال طعامه فى المستشفى حتى يكون على مقربة من ماما كورالى ليسهر على حمايتها . وفى منتصف الساعة الثانية رأى من خلال النافذة سيمون العجوز جالسا على مقعده المعتاد أمام باب المستشفى وهو يدخن غليونه . على حين كانت ماما كورالى فى احدى غرف الطابق الثالث جالسة مع آحد الجرحى وقد وضع المسكين يده فى يدها واستغرق فى النوم كأنه طفل صغير .

ووقف الكابتن بلفال ينظر الى كورالى من بعيد وقد أخذته الشفقة عليها وهو يراها غارقة فى التفكير وعلى وجهها امارات الحزن ..

وفى تلك اللحظة رأى سيمون العجوز يرتقى الدرج مسرعا وفى رفقته خادمة على وجهها أمارات الانفعال وهى تصيح قائلة :

ـ أين سيدتى .. أين سيدتى ؟ .

واقتيدت الخادمة الى كورالى فهمست فى أذنها ببضع كلمات سببت لها انفعالا واضحا وجعلتها تسرع الى مغادرة

الغرفة وتهبط الدرج على عجل . وقالت لها الخادمة .

ـ لقد جئت فى سيارة يا سيدتى وهى فى انتظارى عند الباب ، فيمكننا أن نستقلها . لقد أمرنى مدير البوليس بالاسراع .

وسمع باتريس هذه الكلمات ورجح ان يكون مدير البوليس قد تسلم خطاب الكولونيل فذهب الى بيت ايساريس بك للتحقيق ووثب بدوره الى احدى السيارات وأمر السائق بأن يتبع سيارة كورالى .

ووقفت السيارتان أمام باب بيت ايساريس فما كادت ماما كورالى تدخل حتى أسرع الكابتن بلفال خلفها ولما بلغ البهو سمع صوت ماما كورالى صادرا من قاعة المكتبة وهى تقول :

ـ يا الهى .. يا الهى .. أيمكن أن يحدث هذا . !

وأراد باتريس ان يلحق بها الى القاعة .. ولكن احد رجال الشرطة اعترض طريقه فقال له باتريس :

ـ انى أحد أقرباء مدام ايساريس .. بل انى فى الواقع قريبها الوحيد .

وأزاح الشرطى بلطف ودخل الى القاعة .

وفى القاعة رأى سبعة من الرجال تدل سحنتهم على انهم من رجال البوليس . وكانوا ملتفين حول كورالى . وقال باتريس مخاطبا الخادمة :

ـ ماذا جرى ؟ .

ـ ان سيدتى تشعر بتعب . وأنى أكاد أفقد وعيى .

ـ ولكن ما السبب ؟ .

ـ بسبب سيدى ..

وفى تلك اللحظة تكلم أحد الرجال السبعة فقال يحدث الخادمة ..

ـ ان مدام ايساريس تشعر بصداع . فاصعدى بها الى غرفتها فان وجودها غير ضرورى .

ثم تحول هذا الرجل الى باتريس وقال :

ـ نعم يا عزيزى الكابتن .

فقال باتريس دون ان يدرى فيما يتكلم :

ـ نعم سنصعد بها الى غرفتها يا سيدى فان وجودها غير ضرورى .

وتقدم خطوات الى ناحية كورالى وانضم الى الجمع الملتف حولها وهنا وقع بصره على منظر جعل الدماء تجمد فى عروقه .

فعلى الارض .. على مقربة من المدفأة . كان ايساريس بك راقدا على ظهره مرتديا نفس الثياب التى شاهده بها باتريس ورجال العصابة يعذبونه . وكان رأسه مغطى بمنشفة كبيرة . ولكن أحد الرجال اقترب من ايساريس بك وأزاح المنشفة عن وجهه . وهنا رأى باتريس ما بعث فى بدنه رعدة شديدة . فقد كان وجه المسكين محترقا بحيث أصبح فحمة سوداء يستحيل تمييز معالمه وملامحه .

وهتف باتريس فى انفعال قائلا :

ـ يا الهى .. لقد قتلوه ! ثم سقط فجأة رأسه وسط نيران المدفأة واحترق . أليس كذلك ؟ .

ووجه باتريس هذا السؤال الى الرجل الذى تدل حركاته ولهجته على انه أكبر الحاضرين مركزا ، ولكن الرجل بدلا من ان يجيب على سؤال باتريس قال يسأله بدوره :

ـ من أنت يا سيدى ؟ .

ـ انى الكابتن بلفال يا سيدى . صديق مدام ايساريس وأحد الجرحى الذين نجوا بفضل عنايتها .

ـ فليكن يا سيدى . ولكن لابد لك من الانصراف على الفور فان التحقيق سرى .. أرجوك يا سيدى المدير اخرج جميع الحاضرين عدا الطبيب . ومر رجالك بحراسة الباب .

فقال باتريس فى الحاح :

ـ ولكن لدى يا سيدى معلومات هامة يجب ان افضى بها اليك .

ـ انى على استعداد لسماع ما لديك عن طيب خاطر .. ولكن بعد قليل أما الآن فأرجوك ان تغادر هذه القاعة .

الفصل السابع

جلس الكابتن باتريس بلفال فى قاعة البلياردو منتظرا أن يستدعى للافضاء بما لديه من المعلومات . وما مر عليه ربع ساعة حتى فتح الباب ودخل سيمون السكرتير العجوز تلوح عليه أمارات الانفعال فاقترب منه باتريس وسأله عما حدث فأجابه الرجل فى صوت خافت :

ـ ان هذه النكبات لم تنته بعد .. انى أتوقع حدوث أشياء أخرى . رهيبة . اليوم أيضا .. نعم اليوم .

فقال له باتريس :ـ ابمثل هذه السرعة ؟

فأجابه العجوز وهو يرتعد :ـ نعم .. نعم .

ولم يزد على ذلك شيئا .

أما الخادمة التى كانت فى رفقته فقالت جوابا على أسئلة باتريس :

ـ ان البيت خال من الخدم فليس فيه سواى وسوى

الطاهية . وفى منتصف الساعة السابعة جاء الينا مسيو سيمون ينبئنا بأن السيد فى قاعة المكتبة وانه لا يريد ان يزعجه أحد لاى سبب كان . وكانت سيدتى تشعر بوعكة خفيفة فحملت اليها قدحا من الشيكولاتة فى غرفتها فى الساعة التاسعة . وفى الساعة العاشرة خرجت مع مسيو سيمون . ولبثت فى المطبخ أنا والطاهية الى منتصف الساعة الثانية عشرة حين قرع جرس الباب . فذهبت لارى من الطارق ورأيت نفسى ازاء مدير البوليس العام الذى طلب مقابلة سيدى فقدته الى قاعة المكتبة وقرعنا الباب فلم يلب نداءنا أحد . فحاولنا ان نفتحه فألفيناه مغلقا من الداخل . واستدعى مدير البوليس أحد الرجال الذين كانوا فى انتظاره فى السيارة فحطم قفل الباب . ولم نكد ندخل حتى رأينا سيدى المسكين ملقى على الارض ورأسه فى نيران المدفأة وقد احترق .

وكان سيمون العجوز يصغى اليها وهو صامت لايتكلم مكتفيا بأن ينظر اليها فى شرود من خلال نظارته الصفراء . وحول رأسه الوشاح المعهود الذى اعتاد ان يلف به رقبته والشطر الاكبر من وجهه اتقاء للبرد ولما سكتت الخادمة اقترب من باتريس وقال هامسا فى اذنه :

ـ يجب ان نتوقع أشياء آخرى .. نعم أشياء كثيرة .. ويجب على مدام كورالى أن تغادر هذا المكان .. على الفور .. والا حل بها السوء .

وود الكابتن بلفال ان يستوضحه الامر لولا أن جاء أحد رجال الشرطة وآخذ بذراع سيمون وذهب به لمقابلة مدير البوليس .

وطال استجواب السكرتير على عكس استجواب الخادمة

الذى لم يستغرق الا وقتا قصيرا . وبعد ذلك دعيت ماما كورالى الى القاعة .

وفى الساعة الرابعة وصلت الى البيت سيارة أخرى هبط منها رجلان أخذ رجال البوليس يحيونهما فى احترام شديد . فعرف باتريس فى احدهما وزير العدل . أما الثانى فكان وزير الداخلية . وقضيا فى قاعة المكتبة نحو نصف ساعة ثم خرجا .

وفى الساعة الخامسة دعى باتريس الى قاعة المكتبة . وهناك رآى كورالى جالسة على أحد المقاعد وأمامها السيد الذى يتولى التحقيق والذى استدل باتريس من حركاته ولهجته على انه أعلى سلطة من الآخرين .

وقال له باتريس :

ـ هل انت قاضى التحقيق يا سيدى ؟

ـ كلا .. أنا دى ماليون أحد قضاة وزارة العدل وقد انتدبت خصيصا لاماطة اللثام عن هذا الحادث . وليس لتحقيقه كما قد يتبادر الى ذهنك فليس فى هذا الحادث ما يستدعى تحقيقا .

فصاح باتريس فى دهشة :

ـ ماذا تقول يا سيدى القاضى .. ليس فى هذا الحادث ما يستدعى تحقيقا .. ؟

ونظر الى كورالى التى كانت مشيحة بوجهها الى الناحية الاخرى .. وقال مسيو دى ماليون :

ـ انى أعلم يا سيدى الكابتن انك ستقرنى على رأيى حين تقف على جميع ظروف الحادث وملابساته كما اقرتنى من قبل مدام كورالى فاننا على اتفاق تام على جميع النقط والتفاصيل .

فقال باتريس :

ـ ارجو ذلك يا سيدى وان كنت لا اكتمك ان هناك نقطا كثيرة يشوبها الغموض .

ـ يجوز . ولكننا سنلقى ضوءا على ما يبدو غامضا .. فهل لك ان تنبئنى بما لديك .. ؟

ففكر باتريس برهة ثم قال :

ـ اسمح لى أولا يا سيدى ان أعبر لك عن دهشتى فان المعلومات التى لدى خطيرة جدا . ومع ذلك فانى لا أرى فى القاعة كاتبا يتولى تسجيل أقوالى . كما انك لم تسألنى ان اقسم على أن أقول الصدق . والاستجواب بهذه الطريقة ينطوى على شىء من الغرابة .

فابتسم مسيو دى ماليون وقال :

ـ من المحتمل يا سيدى الكابتن انك تغالى فى تقدير أهمية شهادتك . ومع ذلك فالامر الآن لا يعدو ان يكون حديثا خاصا نتبادل فيه الرأى بصفة غير رسمية لاسيما انى اعتقد ان مدام كورالى افضت الى بمعلومات قد لا تختلف فى شىء عما تعرفه أنت .

وراح باتريس ينقل البصر بين القاضى ومدام كورالى . وخيل اليه انهما على اتفاق تام فى الاتجاه الذى ينبغى ان يتخذه التحقيق ، فرأى أن يكون متحفظا فى كلامه وقال :

ـ الواقع يا سيدى ان فى وسع مدام كورالى أن تفضى اليك بنفس المعلومات التى اعرفها أنا . فهل لى ان أفهم من ذلك انك على علم بالحديث الذى سمعته عفوا فى المطعم بالامس ؟

ـ نعم .

ـ والمؤامرة التى دبرت لاختطافها ؟ .

ـ نعم .

ـ وجريمة القتل ؟ .

ـ نعم .

ـ وهل قصت عليك مدام ايساريس نبأ الاعتداء الذى وقع على زوجها فى جوف الليل وكيف عذبوه بشى قدميه على النار ؟ . وهل علمت بموت الكولونيل ودفع الاربعة ملايين والحديث الذى جرى عقب ذلك بين مسيو ايساريس ومن يدعى جريجوار . ؟ وأخيرا هل علمت بتلك التهديدات التى وجهها مسيو ايساريس الى زوجته . ؟

ـ نعم يا عزيزى الكابتن . انى على علم بكل هذا ، أو بعبارة أخرى انى أعلم من الامر مثلما تعلم انت . بل اعلم عنه ما تجهله انت وما هدتنى اليه تحرياتى الشخصية .

فقال باتريس :

ـ ومعنى هذا انه قد اجتمعت لديك جميع العناصر التى تهيىء لك الوصول الى قرار نهائى فى الحادث . فهل لى ان اسالك عن هذا القرار ؟

فابتسم مسيو دى ماليون وقال :

ـ انك تتعجل الحوادث يا عزيزى الكابتن فانى لم أصل بعد الى قرار نهائى . ولكن لدى الآن على الاقل خطابا كتبه مسيو ايساريس الى زوجته ووجدناه على مكتبه دون ان يتمه . ولا مانع لدى من أن أتلوه عليك .. وهذا نصه :

٤ ابريل ظهرا .

« كورالى » .

« انك أخطأت بالامس حين عزوت رحيلى الى أسباب

خيالية لا أساس لها . وربما خطأت انا أيضا بعدم محاولتى ان ادافع عن نفسى . ان السبب الوحيد الذى دعانى الى السفر هو خوفى من هذه الاحقاد التى تكتنفنى من كل جانب . وقد شهدت انت بنفسك قسوة اعدائى وشدة بطشهم .. فازاء هؤلاء الاعداء الذين يسعون الى هلاكى بكل ما لديهم من الوسائل - لا أرى مناصا من الفرار واخلاء الميدان .. فأنا ارحل اذن ولكنى اذكرك بحقوقى عليك بصفتى زوجا لك . يجب ان تلحقى بى يا كورالى عندما أطلب اليك ذلك فاذا أبيت فلن ينقذك من غضبى حتى ولا موتى . والواقع انى اتخذت العدة احتياطا لمثل هذا الظرف .. فاذا مت .. » .

وقال مسيو دى ماليون :

- وعند هذه النقطة انتهى ايساريس فى خطابه دون ان نعرف ما كان يجول فى خاطره ولا ما هذه الاحتياطات التى اتخذها ضد زوجته فى حالة موته . ويظهر ان انفعاله اشتد دوهو يكتب هذا فشعر بدوار شديد فتدحرج من فوق مقعده وسقط على الارض . وفى سقوطه أوقع « منبها » كان موضوعا على المكتب فتوقف عند الساعة الثانية عشرة والدقيقة الثالثة والعشرين . وقد شاء سوء حظه ان تكون المدفأة على مقربة منه . فاصطدم رأسه بسياجها صدمة تسبب عنها جرح عميق أدى الى الاغماء فلم يشعر بأن رأسه سقط وسط اللهيب . وهكذا مات المسكين اختناقا .

وكان باتريس يصغى الى قاضى التحقيق فى ذهول ثم تمتم قائلا :

- اذن فأنت تعتقد يا سيدى ان مسيو ايساريس مات قضاءا وقدرا ولم يقتل ؟ .

- يقتل .. يا الهى .. ! اننا لم نقع يا عزيزى الكابتن على اى أثر يمكن ان يدعو الى هذا الافتراض العجيب .. انك ياعزيزى الكابتن فريسة لتصورات وأوهام أثارها فى ذهنك ما وقع بالامس .. والواقع .. ماذا يمكن ان يكون الدافع الى ارتكاب هذه الجريمة ؟ ومن الذى له مصلحة فى ارتكابها ؟ يورنيف ورفاقه ؟ وما الفائدة التى تعود عليهم من قتل ايساريس ؟ لقد حشا جيوبهم بالمال . واذا فرضنا جدلا ان المدعو جريجوار استطاع أن يسترد منهم عدة الملايين فهل بقتلهم ايساريس يستعيدون ما أخذ منهم وثمة سؤال آخر : كيف دخلوا الى البيت وكيف خرجوا .. ؟ كلا يا عزيزى الكابتن .. اسمح لى ان أقول لك انك مخطىء فى ظنونك وان الوقائع لا تؤيدها وأن تقرير الطبيب الشرعى وهو تقرير لا مطعن فيه يقرر أن الوفاة حدثت بسبب الاختناق .

فتحول باتريس بلفال الى ماما كورالى وقال :

- وهل تشاطرك مدام ايساريس هذا الرأى ؟

فاحمر وجهها قليلا واجابت : - نعم ..

- وما هو رأى سيمون العجوز يا ترى ؟

فقال القاضى :

- سيمون العجوز ! انه يهذى ! ان من يسمعه يعتقد على الفور ان هناك حوادث أخرى ستقع تباعا وان هناك خطرا يتهدد مدام ايساريس نفسها . وان عليها ان تهرب من الدار على الفور . وهذا هو كل ما استطعت ان انتزعه منه . ولكنه قادنى الى باب عتيق يقع فى الجدار المحيط بالحديقة ورانى جثة كلب الحراسة وقد مات مخنوقا . كما ارانى أثار اقدام بين ذلك الباب وبين باب السلم الذى

يفضى الى شرفة المكتبة . ولكنك تعرف بطبيعة الحال هذه الآثار يا كابتن فانها آثارك وتابعك السنغالى . أما خنق الكلب فيمكن ان يعزى الى السنغالى . أليس كذلك يا كابتن ؟

وفهم الكابتن على الفور السبب الذى دفع مدام بالصمت . فقد هددها فيما يظهر بأن يعتبر ان الكابتن ايساريس الى موافقة قاضى التحقيق على رأيه والاعتصام وتابعة السنغالى هما اللذان قتلا زوجها اذا أصرت على أن تعتبر ان وفاة زوجها لم تكن بالقضاء والقدر .

وهز باتيرس رأسه وقال فى صوت خافت :

ـ اذن فلم تكن هناك جريمة قتل ؟

ـ كلا .

ـ وليس هناك ما يستدعى تحقيقا ؟ ـ كلا .

ـ وبعبارة أخرى يجب ان يلقى على ما حدث ستار من النسيان والصمت ؟

ـ تماما .. تماما !

وجعل الكابتن بلفال يسير فى ارجاء الغرفة وقد ذكر ما قاله ايساريس من ان التحقيق سيطوى وانهم لن يقبضوا عليه . واذا فرض وقبض عليه فسيطلق سراحه فورا .

لقد كان ايساريس اذن على حق فيما قال .. ستصمت العدالة وستطوى أوراق التحقيق .

ثم تحول الى القاضى وقال :

ـ أرجو ان تغفر لى يا سيدى فضولى والحاحى اذ يبرره ما أشعر به نحو مدام ايساريس من العطف والاعتراف بالجميل فضلا عن ان هناك اشياء غامضة خفية تربط بينى

وبينها ومن المحتمل ان تكون مدام ايسارس قد اطلعتك عليها .

فنظر مسيو دى ماليون الى مدام ايساريس ثم قال مجيبا :

ـ الواقع انها اطلعتنى على ذلك بل انها ..

غير انه أمسك عن الكلام ونظر الى مدام ايساريس منتظرا منها ان تأذن له بالافضاء بما فى نفسه فقالت :

ـ انى لا أرى ما يمنع من ان نطلع الكابتن بلفال على كل ما نعلمه فان الحقائق تخصه كما تخصنى . وليس من حقى ان اكتمها عنه فتكلم يا سيدى .

وتكلم مسيو دى ماليون قائلا :

ـ انى أرى ان ليس هناك ما يدعو الى الكلام اذ يكفى ان نقدم الى الكابتن البوم الصور ليدرك كل شىء .

وقدم القاضى الى باتريس البوما صغيرا للصور مغلفا بقماش رمادى وموضوعا داخل كيس من المطاط . وقلب باتريس صفحات الالبوم ونظر فى الصور المثبتة فيه ثم هتف قائلا : انى لا اصدق هذا ؟

كانت فى الصحيفة الاولى صورة تمثل غلاما صغيرا يرتدى ثياب المدارس الانجليزية . أما الصحيفة المقابلة فكانت بها صورة تمثل بنتا صغيرة وقد كتب تحت صورة الغلام : « باتريس فى العاشرة من عمره . » وتحت الصورة الاخرى : « كورالى فى الثالثة من عمرها » . .

أما الصحيفة التالية فكانت تمثله وهو فى الخامسة عشرة من العمر على حين كانت صورة كورالى تمثلها فى الثامنة من عمرها .

وتتابعت الصور حتى بلغ باتريس من العمر ثمانية

عشر عاما . بل كانت هناك صور أخرى تمثله فى الثالثة والعشرين ثم فى الثامنة والعشرين ودائما كانت لكورالى فى الصحيفة المقابلة صور تمثلها فى مراحل عمرها المختلفة . المختلفة .

وتمتم باتريس يقول :

كيف هذا . ؟ هذه صور أجهل انا نفسى انها التقطت لى وملتقطها من الهواة بلا شك كما هو واضح من شكلها .. وهذه الصور تمثلنى فى أدوار حياتى منذ كنت تلميذا الى ان صرت جنديا . وهأنذا على صهوة جوادى .. فمن هو الشخص الذى التقط هذه الصور ومن الذى جمعها فى هذا الالبوم مقابلة لصورك يا سيدتى ؟

فأجابه مسيو دى ماليون بقوله :

ـ ان الطبيب هو الذى عثر على هذا الالبوم وهو يجرد مسيو ايساريس من ثيابه .

لقد وجده فى أحد جيوبه .

وتلاقت نظرات باتريس بنظرات كورالى .. ما الذى يدعو ايساريس الى الاهتمام بجمع صورهما على مر السنين والاحتفاظ بها فى جيبه .. ؟ فعاش وهى معه ومات وهى معه .

وقال باتريس :

ـ أموقن انت ياسيدى مما تقول ؟ .

ـ طبعا .. فقد كنت حاضرا تجريد الجثة من الثياب .. بل لقد اكتشفنا ما هو أغرب من ذلك .. لقد عثرنا على ميدالية من الكهرمان موشاة بالذهب .

فهتف الكابتن بلفال قائلا :

ـ ماذا تقول يا سيدى .. ماذا تقول .. ميدالية .. ميدالية من الكهرمان .. ؟

ـ نعم .. وهاك هى فافحصها بنفسك .

وقدم مسيو دى ماليون الى الكابتن بلفال حبة من الكهرمان كبيرة الحجم وموشاة بحزام من الذهب من نفس الطراز الذى صيغ به حزام تلك الحبة المشطورة نصفين والتى يحمل هو نصفها ومدام كورالى النصف الثانى .

وكان الحزام يشطرها الى قسمين بحيث يمكن فتحهما او ضمهما .

فقال باتريس :ـ هل لى ان افتحها ؟

فاذنت له كورالى بإياءه من رأسها ففتحها .

وفى داخل حبة الكهرمان رأى صورتين صغيرتين جدا احداهما تمثل كورالى وهى فى ثياب الممرضات . أما الاخرى فتمثله وهو فى ثياب الضباط وساقه مبتورة .

وفكر باتريس برهة وهو ممتقع اللون ثم قال :

ـ ومن اين جئت بهذه الميدالية يا سيدى القاضى ؟

ـ لقد عثرت عليها فى يد الميت .

ـ فى يد الميت .. فى يد مسيو ايساريس ؟

ـ نعم .. وقد وجدت صعوبة كبيرة فى انتزاعها من يده .

فصاح الكابتن بلفال قائلا :

ـ والآن سأفضى اليك يا سيدى بشىء هام كنت أوثر أن احتفظ به لنفسى لاثبت لك ان معونتى قد تكون ذات فائدة ... لقد دعيت الى التليفون وانا فى المصحة . فلما تناولت السماعة سمعت صوت رجل يحدثنى فى انفعال شديد . وفى اثناء حديثه وقع عليه اعتداء اجرامى ثم انقطع الحديث وسمعت على أثر ذلك صرخات الم وفزع . ولكنه قال لى هذه الكلمات ! « باتريس .. كورالى .. ميدالية

الكهرمان ·· انها معى ·· الميدالية ·· لقد فات الوقت ·· كم اتمنى ·· باتريس ·· كورالى » نعم هذه هى الكلمات التى سمعتها يا سيدى القاضى ولك ان تستنتج من الحوادث التالية ما تشاء ·· فى الساعة السابعة والدقيقة التاسعة عشر قتل رجل يحمل ميدالية من الكهرمان ·· هذا هو الحادث الاول ·· وبعد بضع ساعات · أى فى الساعة الثانية عشرة والدقيقة الثالثة والعشرين تكتشف نفس الميدالية ولكن فى يد رجل آخر ·· وهذا هو الحادث الثانى ·· فاجمع يا سيدى بين الحادثين تدرك على الفور ان الجريمة الاولى التى حملت الى صداها اسلاك التليفون انما ارتكبت هنا ·· فى هذا البيت ·· بل فى هذه القاعة بالذات ·· فى هذه القاعة التى اصبحت منذ الامس مسرحا لحوادث متتالية عجيبة ·

ـ ولكن اسمح لى يا عزيزى الكابتن بأن الاحظ ان الحادث الاول الذى حدثتنى عنه ليس له وجود مادى · فاننا لم نعثر بعد على جثة ذلك الرجل الذى تزعم انه قتل فى الساعة السابعة والدقيقة التاسعة عشرة ·

ـ سنعثر عليها ·

ـ يجوز ·· والاعتراض الثانى هو : ماذا يثبت ان ايساريس بك أخذ الميدالية من القتيل ولم يأخذها من شخص آخر · فضلا عن اننا لا نعلم هل كان ايساريس بك موجودا فى بيته فى ذلك الوقت أم لا ·

ـ بل كان موجودا ·

ـ وكيف علمت ؟

ـ لقد تحدثت اليه بعد وقوع الحادث بدقائق قليلة وكان هو الذى اجابنى بنفسه · بل لقد قال لى انه طلبنى

تليفونيا ولكن الخطوط تداخلت فقطع الحديث ·

ففكر مسيو دى ماليون ثم قال :

ـ وهل خرج مسيو ايساريس فى هذا الصباح يا ترى ؟

فأجابت مدام كورالى على هذا السؤال بقولها :

ـ انى اعتقد انه لم يخرج · فالثياب التى كان يرتديها وهو ميت هى الثياب التى اعتاد ان يلبسها أثناء وجوده فى الدار ·

ـ ألم ترى زوجك منذ مساء الامس ؟

ـ لقد طرق باب غرفتى ثلاث مرات فيما بين الساعة السابعة والتاسعة ولكنى أبيت ان استقبله · وفى نحو الساعة الحادية عشرة خرجت وحدى وسمعته ينادى سيمون ويأمره بمرافقتى · وفعلا لحق بى سيمون فى أول الطريق ·

وساد صمت قصير وأخيرا تحول باتريس الى القاضى وقال :

ـ اسمح لى ان أوضح لك وجهة نظرى يا سيدى ··

ـ هناك رجل يعرفنى ويعرف مدام ايساريس حق المعرفة ·· انه يعرفنا ويهتم بنا منذ طفولتنا الى درجة حملته على ان يجمع صورنا ويضمها فى البوم ويحتفظ به · فلدى هذا الرجل بلا شك أسباب قوية تدعوه الى حبنا والتعلق بنا · وهو الذى أرسل الى مفتاح هذه الحديقة · وهو الذى حاول ان يجمع بينى وبين مدام كورالى لاسباب أجهلها ·· وقد قتل هذا الرجل فى اللحظة التى أراد فيها ان يكاشفنى بما فى نفسه ·· ولدى من الاسباب ما يجعلنى اعتقد ان قاتله هو مسيو ايساريس ·· ولهذا صح عزمى على ان أقدم بلاغا الى البوليس بما اعتقد مهما كانت

العواقب . ولا تتوهمن يا سيدى القاضى ان بلاغى يمكن ان يطوى فانى لن اعدم وسيلة لاسماع صوتى الى من يعنيهم الامر حتى ولو اضطررت الى أن أقف فوق الاسطح وأصرخ فى الناس بما أبغى .

فضحك مسيو دى ماليون وقال :

ـ انك شديد التحمس يا عزيزى الكابتن .

ـ انى انما أعمل بوحى من ضميرى . ولتسمح لى مدام ايساريس بأن اقول لها انى انما اعمل دفاعا عن مصلحتها الخاصة . اذ لا أظنها تجهل ان اعداءها أقوياء وانهم يتربصون بها الفرص . فاذا تخلى عنها رجال البوليس فتكوا بها ولم يترددوا فى الاجهاز عليها .. فالبوليس وحده يا سيدى القاضى هو الذى يستطيع ان يكشف ماخفى من أمر هؤلاء الاعداء .. العدالة وحدها هى التى تستطيع ان تكشف اللعبة التى يدبرها هؤلاء الخصوم الاقوياء .

وفكر مسيو دى ماليون برهة ثم قال :

ـ واذا كانت العدالة تعرف هذه اللعبة .. ؟

فتفرس فيه باتريس فى دهشة وقال :

ـ العدالة تعرف هذه اللعبة .. ؟

ـ يجوز .

وما هو المحور الذى تدور عليه اللعبة .. ؟

ـ المال .

ـ وما مقداره .. ؟

فابتسم مسيو دى ماليون وقال :

ـ مليار من الفرنكات .. ألف مليون فرنك .. !

فهتف باتريس قائلا :ـ مليار .. ألف مليون فرنك .. !

ـ نعم .. وثلثا هذا المليار . أو ثلاثة أرباعه اذا شئت خرجت بكل أسف من فرنسا قبل الحرب . أما المائتان والخمسون مليونا أو الثلاثمائة مليون الباقية فتساوى فى الواقع أكثر من مليار .

ـ وما السبب .. ؟

ـ لأن الربع مليار الباقى من الذهب .

الفصل الثامن

وما ان سمع الكابتن بلفال من القاضى هذه العبارة حتى أدرك السبب الذى يحمل السلطات على ان تعالج هذه القضية فى حذر وروية . وقال :

ـ أواثق انت مما تقول يا سيدى القاضى ؟

ـ طبعا يا عزيزى الكابتن . فمنذ عامين أناطت بى الحكومة تحقيق هذا الموضوع فعرفت بفضل التحريات الدقيقة التى قمت بها ان هناك كميات عظيمة من الذهب تصدر الى الخارج دون سبب ظاهر معقول ولكنى استطعت ان اكتشف بفضل الحديث الذى دار بينى وبين مدام ايساريس مصدر هذا التهريب والعوامل الخفية التى تدعو اليه .

ـ اذن فمدام ايساريس على علم بهذا السر ؟

ـ كلا . ولكنها استرابت فى بعض أمور وقعت تحت عينيها . وفى الليلة الماضية ـ قبيل وصولك بقليل ـ سمعت حديثا دار بين ايساريس والمعتدين عليه فأعادته على مسمعى فكان فى ذلك مفتاح اللغز .

فمن هذا الحديث ادركت ان ايساريس بك مدير البنك الفرنسى الشرقى هو زعيم العصابة التى تقوم بتصدير الذهب الفرنسى الى الخارج وهذا الرجل تركى النشأة

وقد أقام فى مصر زمنا طويلا وفاز بلقب (البكوية) ثم تجنس بالجنسية الانجليزية . وبعد ذلك نزح الى فرنسا فأقام فيها وأصبح من ذوى النفوذ فى الدوائر المالية . وانزلقت قدمه الى خيانة البلاد فى آونه فأخذ يجمع الذهب ويصدره الى الخارج لحساب دولة أجنبية .

وقد استطاع فى خلال عامين أن يهرب سبعمائة مليون فرنك وكانت هناك شحنة أخرى على وشك التصدير عندما أعلنت الحرب فاستحال عليه ان يخرجها من البلاد لأن التفتيش فى أيام الحرب أدق بكثير منه فى أيام السلم . فاضطر ان يحتفظ بهذه الملايين وقدرها مائتان وخمسون مليونا حتى تحين الفرصة المناسبة لتهريبها . ومرت على ذلك عشرة شهور فسولت له نفسه ان يستولى وحده على هذا الذهب . ولكن كان عليه ان يرضى اطماع شركائه ..

ـ أولئك الذين رأيتهم فى الليلة الماضية فى قاعة المكتبة ؟ .

ـ نعم .. وهم جماعة من أهل البلقان وأغلبهم من البلغاريين الذين يشتغلون بالتهريب أو الجاسوسية لحساب بعض الجواسيس الالمان . وقد بث ايساريس بك هؤلاء الاعوان فى طول البلاد وعرضها لاسيما فى الارياف لابتياع النقود الذهبية أو الحلى .

وكان ايساريس يحول هذا الذهب الى سبائك يحتفظ بها فى خزائنه لتهريبها عندما تحين الفرصة . ولكن لما نشبت الحرب اضطر هؤلاء الاعوان ان يرجعوا الى باريس ويكفوا عن مهمتهم . وكان ايساريس نفسه قد أغلق مصرفه ـ وبعد ذلك ؟

ـ وبعد ذلك وقعت حوادث لازلنا نجهلها وان كان

من المؤكد ان هؤلاء الشركاء عرفوا عن طريق الجواسيس الذين يعملون لحسابهم ان الشحنة الاخيرة من الذهب لم تصل الى الدولة الاجنبية المقصودة فأدركوا ان ايساريس احتفظ لنفسه بالثلاثمائة مليون فرنك وراحوا يطالبونه بنصيبهم من هذه الملايين . وفى الليلة الماضية بلغت المعركة ذروتها فصمم عزمهم على ان يختطفوا مدام ايساريس لاتخاذها رهينة يرغمون بها زوجها على أن يدلهم على مخابىء الذهب . وقد رأيت انت بنفسك بعض ما حدث .

ـ ولكن لماذا اهتم هؤلاء الشركاء بأن يوجهوا ضرباتهم كلها فى ليلة واحدة ؟ .

ـ لانهم كانوا يعتقدون ان الملايين ستختفى بالامس .. حقيقة انهم لا يعلمون شيئا من خطط ايساريس الخفية ولكنهم كانوا يعلمون شيئا واحدا وهو انه فى كل مرة ترسل فيها شحنة من الذهب لابد ان تسبقها اشارة معينة .

فقال الكابتن باتريس بلفال :

ـ حلقات من الشرر تتصاعد فى الجو أليس كذلك ؟ .

ـ تماما . حبط مشروع ايساريس بك ؟ .

ـ نعم .. ومشروع الشركاء ايضا . وبموت الكولونيل دب الخوف الى قلوب الباقين فآثروا أن يقنعوا بالملايين الاربعة التى عرضها عليهم ايساريس بك . ولكن النضال لم ينته بذلك .. ففى هذا الصباح (بناء على تأكيداتك) قتل رجل فى الساعة السابعة والدقيقة التاسعة عشرة وهذا الرجل يعرفك حق المعرفة وكان يسعى الى الاتصال بك ومكاشفتك بسر خطير . وبناء على أقوالك ايضا يمكن

ان يقال ان ايساريس بك هو الذى قتل هذا الرجل سواء كان قد قتله بنفسه أو بواسطة أحد أعوانه .. تلك يا عزيزى الكابتن هى القصة كلها . والآن وقد علمت من الامر مثلما اعلم ألا ترى معى أن الكتمان واجب ؟ .

ففكر الكابتن بلفال برهة ثم قال :

ـ طبعا .. فليس من الحكمة ان يعلم الناس ان الذهب الفرنسى يوشك ان يختفى من البلاد والا حل الذعر وساد الاضطراب الاسواق المالية وأفلست بنوك غير قليلة . ومثل هذه الازمة فى زمن الحرب كفيلة بان تجلب الهزيمة . فالصمت واجب اذن .

ـ وما عسى ان يقال عن جثة الكولونيل فاكهى ؟

ـ انتحار .

ـ وجثة مصطفى الملقاة فى حديقة متحف جاليرا ؟

ـ انتحار . ـ وجثة ايساريس ؟

ـ مات قضاء وقدرا .

ـ ألا يمكن ان يتسرب الشك الى نفوس الجمهور فيرى غير ما ترون .. ؟

ـ ان الجمهور لا يرى الا ما تبثه الصحف .. والصحف لا يمكن ان ترى الا ما تراه الحكومة . فاننا فى زمن الحرب والرقابة مفروضة على الصحف .

ـ ولكن اذا فرضنا ان جريمة جديدة وقعت ؟ .

ألم يقل سيمون العجوز انه يتوقع حادثا جديدا ؟ .

ـ دعك من سيمون فانه نصف معتوه .

ـ يجوز .. ولكنى اشاطره رأيه فى أن المعركة لم تضع أوزارها بعد . بل انها لم تكد تبدأ .

فابتسم مسيو دى ماليون وقال :

ـ ألسنا موجودين يا عزيزى الكابتن ؟ فلم لا نتولى حماية مدام ايساريس والدفاع عنها بكل الوسائل الممكنة؟ .. فانى على استعداد لان اضع تحت تصرفك جميع قوات البوليس . فضلا عن انى اعتقد ان هذه الدار وهذه الحديقة ستكونان ميدانا للمعركة التى تتوقعها انت وان كنت انا شخصيا ارتاب فى وقوعها .

ـ وما الذى يجعلك تعتقد انها ستجرى هنا ؟

ـ كلمات معينة سمعتها مدام ايساريس بالامس فقد قال الكولونيل فاكهى اكثر من مرة : « ان الذهب موجود هنا يا ايساريس .. فمنذ سنوات تحمل سيارتك الى دارك فى كل أسبوع ما فى مصرفك من الذهب . وكنت انت والسائق وسيمون تتعاونون على ادخال أكياس الذهب من الكوة وان كنت أجهل ما كنت تفعله بها بعد ذلك . ولكن من المؤكد ان السبعمائة أو الثمانمائة كيس التى كانت هنا ساعة اعلان الحرب لا تزال موجودة فى دارك لم تخرج منها . فقد داخلتنى الريبة فى أمرك وراقبت بيتك بنفسى مع نفر من الرجال فلم أر الذهب يخرج .. نعم .. ان الذهب موجود هنا يا ايساريس .. هذه يا عزيزى الكابتن هى كلمات الكولونيل فاكهى بنصها .

ـ ألم تهتد الى أى أثر ؟

ـ كلا مطلقا .. الا اذا اعتبرنا هذا أثرا كافيا .

وأخرج من جيبه ورقة مدعوكة متغضنة وقال :

ـ لقد عثرت على هذه الورقة فى يد ايساريس بك مع الميدالية . وعليها كما ترى كلمات كتبت بالحبر على عجل فتداخلت حروفها وتناثر حبرها ولكن مع ذلك يمكن أن نقرأ فيها بسهولة هذه الجملة : « المثلث الذهبى » فمامعنى

المثلث الذهبى ؟ وما علاقة هذه الجملة بما نحن فى صدده ؟ هذه أسئلة لا أدرى لها جوابا حتى الآن . ولكنى اعتقد ان هذه الورقة (شأنها فى ذلك شأن الميدالية) انما انتزعها ايساريس بك من يد الرجل الذى قتل فى الساعة السابعة والدقيقة التاسعة عشرة . وانه عندما قتل هو نفسه فى الساعة الثانية عشرة والدقيقة الثالثة والعشرين كان منهمكا فى فحص هذه الورقة .

ـ نعم .. ان الظواهر تتفق ونظريتك يا سيدى القاضى .

ولكن الا ترى يا سيدى القاضى ان الحكمة تدعو الى اتخاذ بعض الاحتياطات على الفور ؟ .

ـ لقد اتخذناها فعلا .. ففى البيت عدد غير قليل من رجال البوليس .

وعندما عاد الكابتن بلفال الى المصحة أخذ يحدث تابعه فابون على طريقته المعهودة ويقص عليه حوادث ذلك اليوم . قال :

مما يؤسف له ان ساقى بترت مما يحرمنى القدرة على مناجزة هؤلاء الاعداء .. اننا يا عزيزى فابون فى حاجة الى رجل قوى البنية كامل الاعضاء على حظ موفور من الذكاء لكى يتمكن من ان يرمى بنفسه فى هذه المعركة وينتصر على هؤلاء الاعداء الاقوياء ، من المحتمل يا عزيزى فابون انك كنت ساحرا فى بلادك فهل فى امكانك ان تكون أهلا للثقة .. ؟ أو على الاقل هل يمكنك ان تدلنى على رجل يمكن الاعتماد عليه .. ؟

فتناول فابون العصا التى يحملها سيده وجعل يخط

بها الارض بضعة حروف اذ كان قد تعلم فى صغره الحروف الهجائية .

« فتمتم باتريس يقول فى صوت خافت :ـ ارسين لوبين » . ثم تحول الى السنغالى وقال :

ـ يظهر انك جننت يا عزيزى فابون .. ! أرسين لوبين .. ما معنى هذا .. اتقترح على ان استعين بأرسين لوبين .. ؟

فاحنى فابون رأسه ايجابا فقال بلفال :

ـ وهل تعرف ارسين لوبين ؟ ـ آه .

وذكر باتريس عند هذا ان رفاق السنغالى كانوا يقرأون له وهو فى المستشفى مغامرات ارسين لوبين وقصصه فقال :

ـ انك تعرفه طبعا كما يعرف الانسان الشخصيات الخيالية التى فى الكتب .

فهز السنغالى رأسه نفيا وغمغم يقول :ـ لا .

ـ اتريد ان تقول انك تعرف ارسين لوبين معرفة شخصية ؟ آه .

ـ تبا لك . ! وهل لك على ارسين لوبين من النفوذ ما يحمله على تلبية رجائك عند أول اشارة تبديها ؟

ـ آه .

فضحك الكابتن بلفال وقال :

ـ من الآن فصاعدا يجب أن احترمك ايها السيد الجليل ما دمت صديقا لارسين لوبين .. ولكن خبرنى .. كم تحتاج من الوقت حتى تتمكن من أن تضع لوبين تحت تصرفنا . ؟ سنة . ؟ ستة شهور . ؟ ثلاثة شهور . ؟

فحرك فابون أصابعه فقال الكابتن بلفال :

ـ خمسة عشر يوما فقط ؟ ٠ ! حقا انك رجل عظيم يا صديقى ٠ ! وسأكون سعيدا بأن اتعاون مع لوبين !

الفصل التاسع

بناء على رغبة كورالى وبتأييد القاضى مسيو دى‌ماليون وافقت السلطات العسكرية على ان تجعل منزل مسيو ايساريس مصحة ثانية ملحقة بالمستشفى ٠ ووضعتها تحت اشراف مدام ايساريس ولم تصرح بالاقامة فيه الا للكابتن بلفال ورفاقه السبعة المشوهين ٠

وهكذا اقامت كورالى فى بيتها لا تبرحه وليس فى خدمتها الا هؤلاء المشوهون الذين يمضون دور النقاهة ٠ فبعضهم يتولى الطهى وبعضهم الكنس وبعضهم غسل الثياب ٠٠ أما الباقون فيتولون حراستها والسهر على حياتها وعلى رأسهم السنغالى فابون الذى ينام تحت نافذتها أو عندباب غرفتها كأنه كلب أمين ٠

أما مسيو دى ماليون فقام بابحاث دقيقة لم تسفر عن شىء ٠ فلم يكتشف جثة الرجل الذى سمع الكابتن بلفال صرخات احتضاره فى التليفون ٠

ولهذا رأى ان يكرس وقته للبحث عما هو أهم من ذلك ٠ أى للبحث عن أكياس الذهب التى يبلغ عددها ثمانمائة ٠

قال لباتريس :

ـ ان الدنيا من الاسباب ما يحملنا على الاعتقاد بأن هذه الاكياس مخبأة فى المربع الذى يقع بين الحديقة والبناء ٠ وواضح ان من السهل اخفاء كيس واحد ٠ اما اخفاء ثمانمائة كيس فأمر مستحيل لانها تشغل حيزا لاتقل مساحته عن سعة أمتار مكعبة ٠

ولكن التنقيب الذى استمر يومين لم يؤد الى نتيجة ٠ فلم يعثر دى ماليون على الذهب لا فى الحديقة ولا فى المنزل ٠٠ ولكن ثبت ان ايساريس بك كان يدلى حبلا من الحديد من الكوة التى ذكرها الكولونيل فاكهى ٠ وقد ثبتت فى هذا الحبل خطافات حديدية تعلق فيها اكياس الذهب وتوضع فى كهف يقع تحت قاعة المكتبة مباشرة وقد عثر دى ماليون على الحبل الحديدى وعلى الخطافات ايضا ٠

ومن لغو القول ان نقول ان دى ماليون ورجاله فتشوا الكهف تفتيشا دقيقا وفحصوا الجدران والسقف والارضية ليروا ان كانت مجوفة أو فيها منفذ سرى ٠ فلم يكتشفوا الا سلما سريا يصل بين قاعة المكتبة والكهف ٠ كانت بالكهف كوة أخرى تطل على الحديقة وتقع تحت الشرفة بخلاف الكوة السابقة المتصلة بشارع رانوار ٠٠ والكوتان مزودتان من الداخل بأقفال ضخمة تجعل فتحهما مستحيلا بحيث تظل كنوز الذهب فى أمان لاتصل اليها يد انسان ٠

وقال مسيو دى ماليون :

ـ فمن المؤكد ان الذهب كان يخزن فى هذا الكهف ٠٠ ومن المؤكد كما قال الكولونيل فاكهى ورفاقه ان الذهب لم يخرج من البيت ٠ فاين هو اذن ؟

وأمر الرجال بان ينقبوا فى الحديقة ٠

وكانت الحديقة منسقة تنسيقا رائعا وقد نصبت فى جوانبها التماثيل وشيدت فيها اربع شرفات متتالية كل منها تعلو الاخرى بمسافة قليلة وتشرف على النهر ٠ وفى احدى هذه الشرفات جلس باتريس وكورالى يتابعان عمليات التنقيب ويتحدثان عن الماضى البعيد محاولين ان يزيحا الستار المسدل على طفولتهما ٠

كانت أم كورالى ابنة احد قناصل فرنسا فى سالونيك وقد تزوجت هناك رجلا غنيا طاعنا فى السن يدعى الكونت أودولافتيز ينحدر من أسرة (صربية) عريقة ، وقد مات عقب ولادة كورالى بعام واحد ، فنزحت الارملة وطفلتها الى فرنسا وأقامتا فى نفس هذا البيت الواقع فى شارع رانوار ، والذى كان الكونت أودولافتيز قد اشتراه بواسطة سكرتيره التركى المدعو ايساريس .

وفى هذا القصر امضت كورالى ثلاثة أعوام من سنى طفولتها .. ثم ماتت أمها فأرسلها ايساريس الى سالونيك حيث كانت تقيم أخت عجوز لجدها القنصل . ومما يؤسف له ان هذه الاخت وقعت تحت تأثير ايساريس ونفوذه فأخذت توقع على وثائق ومستندات يقدمها اليها دون ان تدرى شيئا مما فيها ، الى أن جاء يوم تبددت فيه ثروة الطفلة المسكينة .

ولما بلغت كورالى السابعة عشر من العمر وقع لها حادث أثر فى أعصابها تأثيرا شديدا وذلك ان عصابة من الاتراك اختطفتها ذات يوم هى تتريض بين الحقول وذهبت بها الى قصر حاكم المدينة لتقدمها محظية له ، ولكن ايساريس استطاع وقد بلغه النبأ أن يقنع الحاكم بالتخلى عنها واطلاق سراحها ، فاعتقدت أخت جدتها ان لايساريس على الفتاة فضلا عظيما بما فعل ، وقررت أن تزوجها له ، وان كانت كورالى قد اعتقدت ان العصابة انما اختطفتها بايعاز من ايساريس حتى يطوقها بجميله عندما ينقذها فلا ترفض طلبه اذا سألها أن تقبله زوجا لها .

ولكن كورالى كانت تشعر نحو بمقت شديد بدأ من اليوم الاول الذى طارحها فيه الحب قبل الزواج .

هذه هى قصة كورالى .. وعلى الرغم من كدها ذهنها لم تذكر شيئا يمكن ان يوحى بالصلة التى بينها وبين باتريس ، ولم يكن فى ماضى حياتها ما يفسر حقيقة هذه الصلة .

وقال باتريس بعد أن فرغت كورالى من قصتها :

— يمكننا أن نفرض بعد فرغت كورالى من قصتها :

— يمكننا ان نفرض جدلا أن ايساريس انتزع الميدالية من يد ذلك الصديق المجهول الذى يعطف علينا والذى قتله زوجك ، ولكن البوم الصور .. كيف يمكن أن يحتفظ به ايسارس فى جيبه . ؟ فان الامر يبدو غير معقول ..

وساد صمت قصير قطعه باتريس بقوله :

— حدثينى عن سيمون :

— كان سيمون يعيش هنا دائما .

— حتى على عهد أمك ؟ .

— كلا .. فقد ظهر عقب وفاة أمى بعام أو عامين .. بعد رحيلى الى سالونيك . وقد عهد اليه ايساريس بك بالاقامة فى هذا القصر ومراقبة أعماله .

— أكان يشتغل سكرتيرا لزوجك ؟

— لا أدرى على وجه التأكيد فانى قلما رأيتهما يتحدثان .. وقد حضر الى سالونيك ثلاث مرات أو أربعا ليرانا .. وانى لأذكر احدى زياراته وأنا طفلة فقد سمعته فيها يتحدث الى ايساريس فى لهجة عنيفة ويهدده .

— بسبب أى شىء . ؟

— لا أدرى ، والواقع انى لا أعلم عن سيمون شيئا . وكل ما هنالك انى أراه فى أغلب الاوقات جالسا على مقعد فى الحديقة يدخن غليونه أو معنيا بالازهار مستعينا فى

ذلك بثلاثة من البستانيين يترددون على البيت من حين لآخر .

ـ وما علاقته بك . ؟

لا أدرى ايضا .. اذ قلما تحدثنا . وان كان يخيل الى فى بعض الاحيان انه ينظر الى باهتمام من خلال نظارته الصفراء . وفى الايام الاخيرة كان يبدى رغبة فى مرافقتى وأنا ذاهبة الى المستشفى . وفى أثناء الطريق كان يبدو شديد الانفعال الى درجة جعلتنى أسائل نفسى فى الايام الاخيرة .. !

وأمسكت كورالى برهة ثم استرسلت قائلة :

ـ انها فكرة غامضة . ولكن دعنى أكاشفك بها على أى الاحوال . أتدرى من الذى اختار لى مستشفى شارع شانزليزيه دون المستشفيات الاخرى فالتحقت به فى نفس الوقت الذى كنت انت موجودا فيه جريحا ؟ انه سيمون .. كان يعلم انى ارغب فى الاشتغال ممرضة فاختار لى هذا المستشفى بالذات . فهل جاء الامر عفوا ؟ أم كان يرمى الى التقريب بيننا وتمهيد السبل لالتقائى بك . ؟ ثم مسألة الميدالية .. ان فيها صورتين تمثلنى احداهما وانا فى ثياب الممرضات وتمثلك الاخرى وانت ميتور الساق والضمادات حول رجلك . فهاتان الصورتان لايمكن ان يلتقطهما الا شخص يتردد على المستشفى . فهل تستبعد ان يكون هذا الشخص هو سيمون نفسه . ؟ ثم ان سيمون حضر الى سالونيك بضع مرات . وبهذا أتيحت له فرصة لالتقاط صورتى فى مختلف مراحل حياتى عندما كنت مقيمة فى تلك البلاد . فهل يمكننا بعد هذا أن نقول ان سيمون هو صديقنا المجهول وانه هو الذى ارسل

اليك مفتاح الحديقة ؟

فقاطعها باتريس بقوله :

ـ هذا فرض غير معقول . ـ ولماذا . ؟

ـ لأن صديقنا المجهول مات .. أنسيت تلك الصرخات .. صرخات النزع والاحتضار التى سمعتها فى التليفون ؟ انى على يقين تام من ان صديقنا المجهول مات مخنوقا . ومادام ان سيمون على قيد الحياة فلا يمكن ان يكون هو الصديق المجهول .

وذات يوم خرجا من باب الحديقة الصغير الذى كان باتريس قد دخل منه فى الليلة المعهودة وسارا قليلا ينشدان التريض على ضفة النهر .. فلما بلغا نهاية الجدار القائم حول الحديقة هتفت كورالى قائلة :

ـ انظر .. انى لم أر هذا الباب من قبل

ـ لاشك ان الاعشاب كانت تخفيه فأزاحها رجال مسيو دى ماليون وهم ينقبون .

ـ ان الذى يدهشنى ان هذا الباب شبيه تماما بالباب الذى خرجنا منه الآن مع انه يفضى الى حديقة أخرى مجاورة لحديقتنا .

ـ ومن يقيم هنا . ؟

ـ لا أحد . فالمنزل الصغير الذى فى داخل هذه الحديقة مغلق دائما وله باب يتصل مباشرة بشارع رانوار .

فتمتم باتريس قائلا :

ـ نفس الباب .. وربما نفس المفتاح ايضا .

وأخرج من جيبه المفتاح الصدىء الذى أرسله اليه صديقه المجهول ودسه فى القفل وأداره . ولشد ما كانت دهشته عندما انفتح الباب .

وكانت الحديقة مهجورة عبثت بها يد الاهمال وفى طرفها يقوم سلاملك صغير مغلق الابواب والنوافذ . فاخذا يجولان فى الحديقة . ولفت نظرهما فى وسطها قبر من الرخام نمت حوله الورود وتسلقته الازهار . وكان واضحا ان الاهمال الذى يسود الحديقة قد انقلب فى هذا المكان فاذا به عناية تامة اذ كانت الورود والازهار المحيطة بالقبر منسقة بذوق سليم وتدل على ان هناك يدا ترعاها بالعناية وان اهملت سائر الحديقة .

وتمتم باتريس يقول : من المدفون فى هذا القبر الجميل . ؟

وكانت هناك مجموعة من باقات الزهور التى جرت العادة بوضعها على القبور فى ذكرى الوفاة فى كل عام . فاحصاها باتريس فاذا هى تسع عشرة باقة . فقال :

ـ ان من فى هذا القبر قد مات بلا شك منذ تسعة عشر عاما ..

ووقفا أمام القبر ومالا الى الامام وقرأ اما هو مكتوب على الرخام :

« هنا يرقد »
« باتريس وكورالى »
« وقد قتل الاثنان »
« فى ٤ ابريل سنة ١٨٩٥ »
« وسينتقم لهما »

الفصل العاشر

أحست كورالى ان ساقيها اضطربتا فجثت على الارض وأخذت تصلى بحرارة وايمان .. تصلى من أجل الروحين الحائرتين المجهولتين .

وهمس باتريس فى اذنها : ما اسم أمك ؟

ـ لويز ..

ـ أما أنا فابى يدعى ارماند . فلا شأن لها اذن بهذا القبر .

وكان باتريس ايضا بادى الانفعال . وعاد يقرأ الكتابة المنقوشة على القبر ثم قال :

ـ من المصادفات العجيبة يا كورالى ان ابى مات قتلا فى سنة ١٨٩٥ .

فقالت الفتاة :

ـ وأمى ايضا ماتت فى نفس هذه السنة وان كنت لا أدرى التاريخ على وجه التأكيد .

ـ من السهل التأكد من الامر . اما الان فقد طرأت ببالى فكرة جديدة فان من المحتمل ان هذا الشخص .. أى الصديق المجهول لا يهتم بنا نحن وانا يهتم بالماضى ايضا .. يهتم بباتريس وكورالى اللذين قتلا منذ تسع عشرة سنة . والآن فلنخرج على عجل من هذا المكان حتى لايرتاب أحد فى اننا رأينا القبر .

وذهب باتريس بكورالى الى البيت وأمر فابون ورفاقه بالسهر على حراستها ثم خرج ولم يعد الا فى ساعة متأخرة من الليل . وفى الصباح المبكر غادر البيت للمرة الثانية ورجع فى نحو الساعة الثالثة بعد الظهر . فلما دخل على كورالى قالت له : ـ ما لديك من الانباء ؟

ـ لقد عرفت أشياء كثيرة تلقى ضوءا على بعض ما حدث فى الماضى وان كانت لم تبدد الظلمات كلها .

ـ اذن قص على ما عرفت

فاته ايضا فى يوم ١٤ ابريل سنة ١٨٩٥ .

– سأجمل القول فأطلعك على النتائج التى وصلت اليها دون الدخول فى تفصيلات لا داعى لها . فأولا قابلت عمدة باسى ثم ذهبت الى لمفوضية الصربية .

– اذن فانت تعتقد ان للمسألة علاقة بأمى ؟

– نعم . وقد حصلت على صورة من شهادة وفاتها فعرفت منها انها ماتت فى ١٤ ابريل سنة ١٨٩٥ .

فهتفت كورالى قائلة :

– أوه .. انه نفس التاريخ المنقوش على القبر !

– نعم نفس التاريخ .

– ولكن أمى لم تكن تدعى كورالى .. ان اسمها لويز

– اسم أمك هو لويز كورالى كونتس أو دولا فيتش .

فعضت الفتاة على شفتها وتمتمت تقول :

– أمى .. أمى المسكينة .. اذن فهى التى قتلت ..

– نعم .. وكان أبى يدعى ارماند باتريس بلفال . وقد اهتديت الى اسمه كاملا فى سجلات العمدة . وكانت

– اذن فقد مات الاثنان فى يوم واحد . أو بعبارة أخرى انهما قتلا كما توحى بذلك الكتابة المنقوشة على القبر . ولكن لم قتلا ؟ ومن الذى قتلهما . وما هو الدافع الى القتل ؟

وأجابها باتريس على هذه الاسئلة بقوله :

– الواقع انى أجهل جواب هذه الاسئلة .. ولكنى وجهت الى نفسى سؤالا آخر وظفرت بالجواب عليه . وهذا السؤال هو : من هو صاحب هذا السلاملك ؟ لقد اتصلت بمكتب السمسار فارشدنى الى محام فى ميدان الاوبرا وهذ ابدوره احالنى الى مسجل . وانتهيت من تحرياتى الى ان أبى هو الذى اشترى هذا السلاملك منذ احدى

وعشرين سنة . وبعد عامين مات أبى فبيع السلاملك واشتراه شخص يونانى يدعى سيمون ديودوكيس .

فهتفت كورالى قائلة :

– انه هو .. ! ديودوكيس هو لقب سيمون .

– وسيمون ديودوكيس لابد ان يكون صديقا لأبى والا لما اختاره منفذا لوصيته . فقد كان هو الذى يتولى بيع ممتلكات ابى والانفاق على أثناء دراستى ى لندن . ولما بلغت سن الرشد سلمنى عن طريق المحامى مائتى ألف فرنك قيمة ما خلفه لى أبى .

وساد صمت طويل ثم تمتم باتريس قائلا :

– كورالى .. يبدو ان آبى وامك كانا يتبادلان الحب . ومن المؤكد انهما كانا يتمنيان ان يريانا زوجين . ففى أحد الايام وقعت من أمك حبة من الكهرمان فانشطرت قسمين فأخذ أبى قسما واحتفظت أمك بالقسم الثانى . وهذا هو السر فى انطباق نصفى الحبة اللذين يحمل كل منا احدهما . وقد اشترى ابى هذا السلاملك الملاصق لقصر أمك حتى يمكن ان يتقابلا فى خفية عن الرقباء . ومن المحتمل جدا انهما قتلا فى نفس هذه الحديقة أو فى السلاملك . ولا شك ان لدى سيمون ديودوكيس برهانا على ارتكاب جريمة القتل والا لما جرؤ على ان يثبتها كتابة على القبر .

– ولكن من الذى قتلهما .. ؟

– الرجل الذى ترتابين أنت نفسك فيه وان كانت الدلائل تنقصنا .

– ايساريس .. ! – نعم ..

فأخفت الفتاة وجهها بين يديها وهتفت قائلة :

ـ يا الهى ٠٠ ! أأكون زوجة الرجل الذى قتل أمى ٠٠ !

لقد حملت اسمه ٠ ولكنك لم تكونى زوجة له فى يوم من الايام لقد كنت دائما تبغضيه وتمقتيه ٠٠ طبعا لا دليل لدينا ضده ٠ ولكن هناك شبهات لابد من أخذها فى الحسبان ٠ فمن ذلك مثلا ان سيمون الذى أقسم ان ينتقم لمصرعهما التحق بخدمة ايساريس بعد مقتل أبى بشهرين أو ثلاثة فاكتسب ثقته وصار سكرتيره وجعل يندمج رويدا رويدا فى حياته وأسراره ٠٠ فلماذا فعل ذلك ٠ طبعا ليتخذ العدة للانتقام ٠

ـ لكنه لم ينتقم ٠

ـ وما يدرينا ٠٠ ؟ اننا لا نعرف الطريقة التى مات بها ايساريس بك طبعا ، ان سيمون ليس هو القاتل لانه كان موجودا فى هذه اللحظة فى المستشفى ٠ ولكن من المحتمل انه أوعز الى صديق له بقتله فاننا نجهل اذا كان سيمون يعمل على انفراد أو يستعين بغيره ٠٠ وسيمون هو الذى جمع صورنا الفتوغرافية وهو الذى وضع نصفى حبة الكهرمان فى المخلفات التى انتقلت الينا عن والدينا ٠٠ نعم ان سيمون هو الصديق المجهول الذى أرسل الى المفتاح ٠ وان كان الخطاب لم يصل الى بكل أسف ٠

ـ اذن فالرجل الذى حملت اليك أسلاك التليفون صرخاته لم يكن هو الصديق المجهول ٠ ؟

ـ ربما كان سيمون كما قلت لك يعمل بالاشتراك مع صديق آخر ٠ وهذا الصديق هو الذى قتل فى الساعة السابعة والدقيقة التاسعة عشرة ٠٠ والواقع انى لا أدرى على وجه التأكيد ما حدث فى ذلك الصباح ٠ وكل ما أعلمه

عن يقين ان سيمون ديودوكيس على علم بتفصيل المأساة التى حلت بوالدينا ٠ ومن حسن الحظ ان سيمون لايزال على قيد الحياة ٠

ـ نعم على قيد الحياة ، ولكنه معتوه لا يعى شيئا ٠٠ ومع ذلك فهو وحده الذى يعرف ٠٠ !

ومضى باتريس الى غرفة سيمون فوجده راقدا على الاريكة وهو يدخن غليونه ويدوز بعينيه التائهتين فى ارجاء الغرفة ٠ فجعل يحدث محاولا ان يعيد الى ذهنه بعض الذكريات التى اختبلت فى عقله والمسكين صامت شارد ووجهه جامد يدل على انه لم يفهم شيئا ٠ ثم أخذ يضحك ضحكات البلهاء ٠ وقال باتريس فى نفسه :

ـ وهذا الرجل هو الذى كان صديق ابى ٠ وهوالذى أقسم ان ينتقم لمصرعه وظل طول حياته حافظا لعهده ٠٠ !

على ان باتريس لم ييأس فتناول ورقة كتب عليها : « باتريس وكورالى ـ ٤ ابريل سنة ١٨٩٥ » وأراها له فنظر فيها سيمون ثم هز رأسه ببلاهة ٠ فكتب الضابط : « ارماند بلفال » ولكن العجوز ظل على بلاهته ٠٠ وكذلك كان شأنه عندما كتب بلفال اسمى ايساريس والكولونيل فاكهى وعندما رسم له مثلثا ٠

ولكن على حين فجأة تغيرت ضحكاته وخلا رنينها من طابع البلاهة ٠ وكان ذلك عندما كتب باتريس اسم بورنيف ٠٠ لا شك ان بعض الذكريات القديمة تحركت فى رأس السكرتير المعتوه ٠٠ وحاول سيمون ان ينهض ولكن خذلته ساقاه فسقط ثانية فوق الاريكة ٠ على انه استجمع قوته مرة أخرى ونهض واقفا وتناول قبعته فوضعها فوق رأسه وغادر البيت دون ان ينطق بكلمة واحدة

فسار باتريس فى أثره . وعبر سيمون الحديقة . ثم خرج الى الطريق العام وأخذ ينتقل من شارع الى شارع ومن طريق الى طريق حتى بلغ حى جرينل وباتريس فى أثره لا يغفل عنه .

ووقف سيمون فجأة خلف كشك لبيع السجائر وأوما باصبعه الى حانة تقع على الافريز المقابل . ونظر باتريس الى حيث اشار سيمون فرأى أربعة رجال جالسين الى احدى الموائد . ولما تأمل وجوههم عرف من بينهم بورنيف .

فى هذه اللحظة دار سيمون على عقبيه وعاد أدراجه كأنما انتهت مهمته فأسرع باتريس الى أقرب تليفون واتصل بمسيو دى ماليون وانبأه بوجود بورنيف ورفاقه فى الحانة فابتهج مسيو دى ماليون بهذا النبأ اذ لم يكن التحقيق قد تقدم خطوة واحدة منذ مصرع ايساريس بك لقد استطاع البوليس ان يهتدى الى الملجأ السرى الذى لاذ به الشركاء الاربعة عندما استولوا على ملايين الفرنكات . ولكنهم لم يعثروا على أثر لهذه الملايين كما انهم لم يهتدوا الى جريجوار شريك ايساريس .

وقال باتريس لنفسه :

ـ ان سيمون العجوز يعرف ان رجال العصابة يجتمعون فى هذه الحانة فى موعد معين فلما ذكرت له اسم بورنيف تذكر شيئا من الماضى .

وبعد بضع دقائق وصل مسيو دى ماليون الى الحانة فى نفر من رجاله فقبضوا على بورنيف وأصحابه . وقال دى ماليون مخاطبا باتريس :

ـ تعال معى يا عزيزى الكابتن لنستجوبه .

وأخذ بذراعه وذهبا الى المخفر . ولكن بورنيف كان

عنيدا مصرا على عدم الافضاء بشىء مما يعلم وقال :

ـ ان تهديدك لا يخيفنى يا سيدى فانى اعلم انكم لن تجسروا على اعدامى رميا بالرصاص فانى لست جاسوسا فضلا عن انى ورفاقى تابعون لدول محايدة .. وليس فى وسعكم ان تزجونا فى السجن بلا تهمة توجه الينا كما انكم لن تثيروا القضية من جديد فان من مصلحتكم حفظ القضية وطى التحقيق .. كل ما هناك انكم ستعتقلوننى مدة الحرب بدعوى اننى من غير المرغوب فيهم .

ـ اذن فانت ترفض ان تجيب على اسئلتى ؟

ـ كلا بالطبع .. فانى اعلم ان المعتقلات أنواع .. ففى وسعى ان اعيش فى الاعتقال مرفها منعما . ولهذا سأجيب على اسئلتك بالقدر الذى أرى انه لا يضيرنى فى شىء . ولكن خبرنى أولا .. ما الذى تعرفه انت ؟

فأجابه دى ماليون قائلا : ـ كل شىء تقريبا ؟

ـ اتعرف ما حدث فى آخر ليلة كان فيها ايساريس بك على قيد الحياة ؟

ـ نعم . وأعرف أيضا انه اعطاكم اربعة ملايين فرنك وان كنت أجهل مصيرها .

فصاح بورنيف فى غضب :

ـ لقد سرقت منا .. سلبت منا .. لقد وقعنا فى فخ نصب لنا . ـ ومن الذى سرقها ؟

ـ جريجوار ـ ومن هو جريجوار ؟

ـ شخص ملعون كان ايساريس بك يستخدمه لقيادة السيارة فى بعض الاحيان .

ـ عندما ينقل الذهب من البنك الى البيت ؟

ـ تماما ولكن الشىء الغريب الذى يمكن ان اقول اننا

تأكدنا منه هو ان جريجوار ليس رجلا بل امرأة ٠

ـ امرأة !؟

ـ نعم ٠٠ انها عشيقته ٠٠ ولدينا على ذلك عدة أدلة ٠٠ ولكنها امرأة قوية البنية عظيمة الجرأة كأنها رجل ٠

ـ أتعرف عنوانها ٠ ؟

ـ كلا ٠

ـ اتعرف مخبأ الذهب ٠ ؟

ـ كلا ٠ وان كان من المؤكد انه موجود فى منزل ايساريس فى شارع رانوار ٠ فمنذ نقل الذهب الى البيت

ـ كلا ٠

راقبنا المكان جيدا فلم نره ينقل منه ٠٠

ـ أليست لديك اية شبهة فيما يتعلق بمصرع ايساريس ٠ ؟

ـ أمتأكد انت من ذلك ٠ ؟

ـ وما الذى يدعونى الى الكذب ٠ ؟

ـ واذا كنت انت القاتل ٠ ؟ أو أحد رفاقك ٠ ؟

ـ لقد خطر لنا ان من المحتمل ان توجه الينا مثل هذه التهمة ولكن فى وسعنا لحسن الحظ ان نبرهن على اننا كنا فى مكان آخر وقت وقوع الجريمة ٠

ـ وهل هذا الدليل مفتعل أو صحيح ٠ ؟

ـ بل صحيح ٠٠ ولك ان تستوثق من الامر اذا شئت

ـ فيما بعد طبعا ٠ اما الآن فهل لديك معلومات اخرى تحب ان تفضى بها الى ٠ ؟

ـ كلا ٠٠ ولكنى احب ان أوجه اليك سؤالا فعسى ان لا تضمن على بالاجابة ٠٠ من الذى وشى بنا ٠ ؟ ان هناك شخصا واحدا يعرف اننا نجتمع فى هذه الحانة فى مثل

هذا الموعد من كل اسبوع ٠

وطالما حضر هذا الشخص اجتماعاتنا بنفسه ٠ وهذا الشخص هو ايساريس بك طبعا ٠ فمن الذى وشى بنا ٠؟

ـ سيمون العجوز ٠

ـ ماذا تقول ٠ سيمون ٠ ! سيمون ديودوكيس ٠

ـ نعم سيمون ديودوكيس سكرتير ايساريس بك ٠

ـ تبا له ٠ ولكن هذا مستحيل ٠ ؟

ـ وما وجه الاستحالة ٠ ؟

ـ لأن ٠٠

فكر بورنيف برهة قبل ان يجيب بقوله :

ـ لأن سيمون على اتفاق معنا ٠

فصاح باتريس فى دهشة :

ـ على اتفاق معكم ٠ ؟

ـ نعم ٠٠ ان سيمون ديودوكيس على اتفاق معنا ٠٠ انه من رجالنا وهو الذى كان يطلعنا أولا بأول على حركات ايساريس وخططه ٠ وعندما أرسل ايساريس حلقات الشرر كان سيمون هو الذى اخطرنا بذلك تليفونيا ٠ وهو الذى فتح لنا الباب عند حضورنا الى البيت وان كنا قد أوثقنا قيادة ذرا للرماد فى العيون وهو أخيرا الذى كان يقدم الرشاوى الى الخدم ٠

ـ ولكن الكولونيل فاكهى لم يكن يخاطبه على اعتبار انه شريك لكم ٠٠ ؟

ـ مهزلة يراد بها التضليل ليس الا

ـ ولكن ما الذى يدعو سيمون الى خيانة ايساريس ٠ أيطمع فى المال ٠ ؟

ـ كلا ٠٠ ولكنه يحقد عليه حقدا هائلا ٠

ـ ما السبب ٠ ؟

ـ لا أدرى ٠ فسيمون صموت كما تعلم ٠

ـ أليست لديك معلومات آخرى ٠ ؟

ـ كلا ٠٠ ولكن لا ٠٠ صبرا ٠٠ فى الليلة المعهودة وصلنى خطاب من سيمون ولكنى دهشت اذ وجدت فى داخله خطابا آخر يظهر انه وضعه خطأ مع خطابى ٠ وفى هذا الخطاب اشارة الى مفتاح وان كنت لم أفهم للامر معنى

فهتف باتريس قائلا :

ـ مفتاح ٠ ! أتذكر فحوى هذا الخطاب ٠ ؟

ـ انه موجود معى فقد احتفظت به لاعيده الى سيمون

وأخرج من جيبه خطابا مغلقا قدمه الى باتريس وقرأ فيه ما يلى :

« باتريس »

« سيصل اليك مفتاح فى هذا المساء ٠ وهذا المفتاح يفتح بابين فى طريق ممتد على ضفة نهر السين ٠ فالباب الاول ـ الايمن ـ يفضى الى حديقة المرأة التى تحبها ٠ أما الباب الثانى فيفضى الى حديقة أخرى اضرب لك موعدا لاقابلك فيها فى يوم ٤ ابريل فى الساعة التاسعة صباحا ٠ وستكون محبوبتك موجودة هناك ايضا ٠ وهناك ستعرف من أنا والهدف الذى أسعى الى تحقيقه وسأرفع لكما الستار عن ماضيكما وسأنبئكما بما يقرب بينكما ٠ ان المرأة التى تحبها فى خطر شديد فاسهر عليها ٠

« ولك حبى واخلاصى »

ولما فرغ باتريس من تلاوة الخطاب قال بورنيف :

ـ انه بلا توقيع ولكنى لازلت اكرر عليك القول بأن سيمون هو الذى كتبه فانى اعرف خطه ٠ أما السيدة التى

ورد ذكرها فى الخطاب فهى مدام ايساريس طبعا ٠

فصاح باتريس فى جزع :

ـ ولكن ما هى الاخطار التى تتهددها ٠ ؟ لقد مات ايساريس فلم يعد هناك داع للخوف ٠

فهز بورنيف كتفيه فى غير اكتراث وقال :

ـ وما يدريك ان ايساريس ذو بطش كبير ٠٠ حتى بعد الموت ٠

وناول باتريس الخطاب الى مسيو دى ماليون ونهض على الفور فاستقل سيارة وأمر السائق بأن ينطلق به بأقصى سرعة الى منزل شارع رانوار ٠٠ نعم ٠٠ يجب ان يسرع ليدرأ عن كورالى الاخطار التى تكتنفها من كل جانب ٠٠ تلك الاخطار التى كان سيمون يتوقع حدوثها قبل ان يدركه الخبل ٠

وكلما اقتربت السيارة من المصحة اشتد به الجزع وتضاعف قلقه ٠ فما ان وقفت امام الباب حتى وثب مسرعا وصعد الدرج فالتقى فى طريقه بأحد رجاله المشوهين فقال له فى لهفة :

ـ الا من جديد ٠ ؟

ـ كلا يا سيدى الكابتن ٠٠ ـ وماما كورالى ٠٠ ؟

ـ تريضت قليلا فى الحديقة ثم صعدت الى مخدعها منذ نصف ساعة ٠٠ ـ وفابون ٠٠ ؟

ـ انه الزم لها من ظلها ٠ ولا ريب انه رابض الآن عند بابها ٠

فارتقى باتريس السلم مسرعا ٠ ولما بلغ غرفة كورالى رأى الباب مفتوحا ورأى فابون جالسا على الارض ورأسه فوق صدره كأنه مستغرق فى النوم ٠ فصاح به :

ـ فابون .. هل انت نائم . ؟

ولكن فابون لم يحر جوابا . وهنا لمح باتريس قطرات من الدماء تلوث كتفه فصاح فى قلق :

ـ يا الهى . ! انه جريح . ! وربما كان ميتا . !

وتخطى السنغالى ودخل الى الغرفة وكان الظلام يسودها فأضاء النور .

ورأى كورالى راقدة على الاريكة ، وحول عنقها خيط من الحرير الاحمر . ولكنها كانت لا تزال تتنفس . فصاح :

ـ انها لم تمت . ! لم تمت .. ولن تموت . ! وفابون ايضا لن يموت . !

وأسرع فحل الخيط المشدود حول عنقها .

وبعد لحظات بدأت الفتاة تتنفس فى سهولة واستفاقت .. ولما نظرت الى باتريس عرفته فارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة . فهتف قائلا :

ـ ماذا حدث يا كورالى .. ماذا حدث ؟

ـ لا أدرى .. فقد اطفأ بعضهم النور وانقض على من الخلف وشد بقبضته على عنقى حتى لا أصرخ ثم همس فى اذنى قائلا : « أنت أولا .. وفى هذه الليلة سيحل دور عشيقك » .. انى خائفة عليك يا باتريس .. نعم انى خائفة عليك . !

الفصل الحادى عشر

قرر باتريس على الفور الخطة التى ينبغى عليه ان يسلكها فنقل الفتاة الى فراشها وطلب اليها ألا تقرع الجرس مطلقا وألا تتحرك من مكانها .

ولما اطمأن الى ان فابون لم يصب بجرح خطير دق الاجراس المتصلة بمواضع الحراسة التى حددها لرجاله

فخفوا اليه جميعا مسرعين فقال لهم :

قد طلبت الى ماما كورالى ألا تغادر غرفتها . ولكن عليكم ان تسهروا على حراستها كالمعتاد ، كما انى لا أريد منكم ان تروحوا وتجيئوا فى أرجاء البيت بل الزموا مخادعكم عقب العشاء مباشرة .

ـ وسيمون العجوز . ؟

ـ احبسوه فى غرفته .. فانه بجنونه قد يكون خطرا علينا جميعا .. فقد يغريه العدو المجهول بأن يفتح له الباب مثلا ليدخل البيت . فالاسلم ان يحبس فى غرفته .

وكانت الخطة التى يرمى اليها باتريس بسيطة واضحة اذ كان يريد ان يوقع فى روع العدو المجهول ان كورالى قتلت فيخطو العدو الخطوة التالية ويحاول ان يفتك بباتريس . كان باتريس شديد التلهف الى هذه المعركة حتى يكشف أمر هذا العدو الخفى .

وبعد هذا رجع باتريس الى فابون وساله ان يقص عليه ما حدث فأجابه بأنه كان جالسا امام باب كورالى ساهرا على حراستها . فانطفأ فجأة نور الممشى ونور المخدع فى نفس الوقت . وقبل ان يتمكن من النهوض هوت على رأسه ضربة عنيفة أفقدته الرشد .

أما كورالى فقالت انها حاولت عندما انطفأ النور ان تهرب من الباب الداخلى فى مخدعها فوجدته موصدا .. فارسلت صرخة واحدة ثم شعرت بالمعتدى ينقض عليها ويخنقها بيده ليمنعها من الاستنجاد .

على ان باتريس فهم من حديث كورالى وفابون شيئا واحدا وهو ان المعتدى لم يأت من السلم الرئيسى انما جاء من ناحية الجناح المخصص للخدم والمتصل بسلم صغير

يصل الى المطبخ وينتهى بباب يفضى الى شارع رانوار .

وقد وجد باتريس هذا الباب مغلقا بالمفتاح . ولكن من المؤكد ان هذا المفتاح فى حوزة شخص ما .

وفى المساء أوى باتريس الى مخدعه ولكنه لم يصعد الى فراشه وانما جلس الى المكتب يدون فى مذكراته تفاصيل الحوادث الاخيرة .

ولما فرغ من الكتابة وضع القلم واشعل سيجارة ثم طوى مذكراته وخلع ثيابه وصعد الى فراشه بعد ان اطفأ النور .

ولكنه لم ينم وانما لبث يترقب قدوم العدو المجهول !

ومرت ساعة اعقبتها ساعة أخرى لم يسمع فى خلالها شيئا غير صوت خفيف صدر من ناحية النافذة . وأخذ صبره ينفذ وزداد تلهفه الى لقاء العدو . وبعد نصف ساعة سمع حركة أخرى مماثلة تماما للحركة السابقة وقد صدرت مثلها من ناحية النافذة . فما كان منه الا ان وثب من الفراش واضاء النور . ولكن كل شىء كان على عهده ساكنا لا يدل على حدوث شىء ما .

وفى الصباح فحص باتريس النافذة فوجد كورنيشا عريضا ممتدا فى خارجها ويدور حول البناء لا ويصعب ان يمشى الانسان فوقه . فزار جميع الغرف المتصلة بهذا الكورنيش وفتشها حتى اذا انتهى الى غرفة سيمون قال لأحد رجاله :

ـ ألم يغادر سيمون غرفته .. ؟

ـ كلا يا سيدى الكابتن فقد حبسناه فيها كما أمرتنا .

وكان سيمون راقدا على الاريكة ووجهه الى الجدار وهو ويدخن غليونه فى صمت وسكون .

وكان باتريس قد صحب دى ماليون يوم فتش الغرفة عقب مقتل ايساريس بك فلم يعثر فى الدولاب الى على ورقة مطوية رسم عليها مثلث كتب فى وسطه الجملة المعهودة « المثلث الذهبى » . أما فى هذه المرة فعثر باتريس فى الدولاب على أشياء لم تكن موجودة يوم فتشه مسيو دى ماليون .. فعثر على سلم من الحبال وعدة أمتار من أنابيب الرصاص التى تستعمل لايصال غاز الاستصباح كما عثر على جهاز يستعمل فى لحام الانابيب بعضها ببعض . وعجب باتريس كيف وصلت هذه الاشياء الى دولاب سيمون ؟ وهل يكون قد جمعها فى دولابه عفوا وبلا غرض معين ؟ أم انه أصبح الان وقد فقد عقله آلة طيعة فى يد العدو المجهول بعد ان كان من قبل أكبر خصم له ؟ .

واقترب باتريس من سيمون فرأى بين يديه اكليلا من الورد من النوع الذى يوضع عادة على المقابر وقد كتب عليه هذا التاريخ : « ٤ ابريل سنة ١٩١٥ » هذه هى الذكرى العشرون لمقتل باتريس وكورالى . فلا شك ان فى نية سيمون ان يضع الاكليل على قبرهما فى الحديقة المجاورة .

وذكر الرسالة التى كان سيمون قد بعث بها اليه مع المفتاح فوصلت خطأ الى بورنيف فقال :

ـ وسأكون هناك يا سيمون فى الموعد المحدد .. وسأصحب معى كورالى فعسى ان ترد اليك الذكرى عقلك المختبل .

وفى المساء حضر مسيو دى ماليون الى البيت واطلع باتريس على رسالة حملها اليه البريد هذا نصها :

« هانذا اخطرك يا سيدى بأن الذهب سيخرج غدا فكن على حذر .. فى مساء الغد ستأخذ الثمانمائة كيس

طريقها الى البلاد الاجنبية » ٠

« صديق لفرنسا »

وقال مسيو دى ماليون :

ـ لعمرى لست ادرى اذا كان هذا الخطاب انذارا حقيقيا أم خدعة جديدة يراد بها تضليلنا ٠٠ ؟

وعجب باتريس لهذه المصادفة العجيبة فان الذهب سيهرب فى يوم ١٤ ابريل ٠ أى فى ذكرى مصرع ابيه ووالدة كورالى ٠ فهل هناك علاقة بين الحادثين ؟ وما الذى يدعو الى الجمع بين الماضى والحاضر على هذه الصورة ؟

وفى صباح اليوم التالى (أى ٤ ابريل) سأل باتريس عن سيمون فقيل له انه خرج ٠ فدخل باتريس الى مخدعه وبحث عن اكليل الورد فلم يجده ٠ كما لم يجد سلم الحبال وأنابيب الرصاص وجهاز اللحام فتحول الى الجندى وسأله قائلا :

ـ أكان سيمون يحمل معه شيئا ؟

ـ نعم يا سيدى الكابتن ٠٠ كان يحمل اكليلا ٠

ـ ألم يكن معه شىء آخر ؟

ـ كلا ٠

وأيقن الكابتن ان الاشياء الاخرى القيت من النافذة الى الحديقة ورجع لديه ان هناك صلة بين سيمون وبين العدو المجهول ٠

وفى نحو الساعة العاشرة حشا باتريس مسدسيه واستصحب معه كورالى وغادر البيت ٠ وأخرج من جيبه مفتاح باب الحديقة المجورة وقال للفتاة :

ـ قلبى يحدثنى بأننا مقدمان على مجازفة خطرة فهل انت مصرة على مرافقتى ؟ فأجابت ببساطة نعم ٠

وفتحا باب الحديقة ودخلا ٠ ولما اشرفا على القبر رأيا الاكليل العشرين موضوعا عليه ٠ فقال باتريس :

ـ لقد زار سيمون القبر مدفوعا بغريزته ٠ وأكبر ظنى انه ليس بعيدا عن هذا المكان ٠

وأخذ باتريس بيد الفتاة وارتقيا درج السلاملك ٠ ولشد ما كانت دهشتهما عندما رأيا الباب مواربا ٠

وعندما تخطيا عتبته كانت الساعة قد بلغت العاشرة بالضبط ٠

ورأيا فى صدر البهو قاعة كبيرة كان بابها مفتوحا فقالت كورالى :

ـ هذه بلا شك هى قاعة الاستقبال ٠ ولا ريب عندى فى ان والدينا كانا يجتمعان فيها ٠

ومشت صوبها فلحق بها باتريس :

وكانت القاعة فسيحة وقد انتشرت فيها المقاعد والارائك ما سقفها فكان مشيدا من البللور السميك حتى يتخلله الضوء موزعا بانتظام كما فى مراسم الفنانين المصورين وكانت بالقاعة نافذتان اسدلت عليهما الستائر ٠

وقال باتريس : ان سيمون غير موجود هنا ٠ وقد كنت أتوقع أن أراه فى انتظارنا طبقا للموعد ٠

ولم تجب كورالى على قوله وانما اخذت تفحص محتويات الغرفة لاسيما الكتب المصفوفة على الرفوف ٠ كما أخذت تتأمل فى اهتمام صورتين تمثلان طفلا وطفلة كتب تحتهما باتريس وكورالى ٠ وكانت هناك علبة من السجائر ومحبرة وقلم وقطعة من القماش مطرزة وان كانت لم تكمل بعد والابرة لا تزال مغروزة فيها ٠٠ فى هذه القاعة كان الماضى لا يزال حيا يقظا ٠

وتمتمت كورالى تقول فى حزن وشجن : اماه ٠ أماه ٠
فضمها باتريس الى صدره قائلا :
ـ فلننصرف من هنـا ٠
ومشيا الى الباب ٠٠ ولشد ما كانت دهشتهما عندما الفياه مغلقا ٠
وصاح باتريس قائلا : اننا لم نغلقه ٠ أليس كذلك ؟
ـ نعم لم نغلقه ٠
واقترب من الباب ليفتحه ولكنه أدرك ان ليس للباب مقبض أو قفل ٠٠ وكان ضخما متينا يستحيل تحطيمه ٠
وحانت منه التفاتة الى يمين الباب فرأى جملة خطوط على الجدار بالقلم الرصاص هذا نصها :
« باتريس وكورالى ٤ ابريل ١٨٩٥ ـ سينتقم لنـا الـرب ٠ »
وتحت هذه الجملة عبارة أخرى مكتوبة بالقلم الرصاص أيضا ولكن بخط يختلف عن الخط السابق ويدل شكل الكتابة على انها حديثة العهد جدا ٠ وكان هذا نصها :
« ١٤ ابريل سنة ١٩١٥ »
فهتف باتريس فى جزع :
ـ ١٤ ابريل سنة ١٩١٥ ، أى اليوم ! ان هذا مخيف! من الذى كتب هذه العبارة ! اننا لن نبقى هنا دقيقة واحدة٠
وأسرع الى النافذة فأزاح الستار وفتح المصراع الزجاجى٠
وافلتت منه صرخة خوف وجزع ٠ فقد كانت النافذة مسدودة بالحجارة فى الجزء بين المصراعين الزجاجى والخشبى ٠
وجرى الى النافذة الاخرى فالفاها مسدودة بنفس الطريقة ٠

نعم ٠٠ لم يكن فى القاعة منفذ للخروج وكان السقف عاليا لا يمكن الوصول اليه ٠
وذكرا عندئذ المأساة التى وقعت منذ عشرين عاما ٠٠ لا شك ان والديهما حبسا فى نفس هذه الغرفة وظلا فيها حتى قضيا نحبهما ٠ !
وها هى ذى المأساة تتجدد ٠ ونفس الفاجعة التى مثلت فى ١٤ ابريل سنة ١٨٩٥ ستمثل مرة أخرى بعد عشرين سنة فى ١٤ ابريل سنة ١٩١٥ ٠

الفصل الثانى عشر

وأدركت كورالى انه لا مفر فى هذه الحالة من الموت جوعا ٠ وصاح باتريس :
ـ كلا ٠٠ اننا لن نموت جوعا ٠٠ ان الموت يستغرق على الاقل ثلاثة أو أربعة ايام ٠ وفى خلال هذه الفترة لابد أن يخف اصدقاؤنا الى نجدتنا ٠
ـ ولكن أنى لهم ان يهتدوا الى مكاننـا ما دمت لم تخبر أحدا بما فى نيتنا ٠٠ ؟
ـ انهم سيقلبون الارض بحثا عنا ٠ ولابد ان يعثروا علينا ٠ وفى درج مكتبى مذكراتى التى اضمنها جميع التفصيلات ٠٠ نعم لابد ان ننجو ٠
وتناول باتريس كتابا وأخذ يقلبه فعثر على رسالة كتبها أبوه على الهامش هذا نصها :
« الى ولدى باتريس ـ اذا استحال علينا ان ننجو من الموت فابحث عن سر مصرعنا على جدار هذه القاعة بين النافذتين ، اذا اتسع لى الوقت لشرح كل ما حدث » ٠
واسرع باتريس الى الجدار وأخذ يفحصه فلم ير شيئا ما لفت النظر اذ كان مغطى بالخشب الى ارتفاع مترين ٠

فخطر له ان من المحتمل ان يكون ابوه قد كتب رسالته على نفس الجدار . وان يكون سيمون هو الذى غطى الجدار بالخشب عندما ابتاع البيت . فتناول المجرف الذى تحرك به نار المدفأة وضرب به الخشب عدة ضربات حتى استطاع ان يدخل طرفه بين لوحين منه . ثم ضغط بشدة فانكسر اللوح وسقط جزء منه على الارض .

وعلى الجزء الذى انكشف من الجدار رأى كلاما مكتوبا بالقلم الرصاص فصاح قائلا :

هذا هو اعتراف ابى .. هذه عريضة الاتهام .

وأخذ يقرأ على كورالى ما هو مكتوب على الجدار وكان كما يلى :

« اكتب هذا حتى اضمن ان ينال المجرم ما يستحق من القصاص اعلم انى سأموت . أنا وكورالى . ولكن لابد أن يعرف الناس السر فى موتنا فمنذ بضعة أيام قال لكورالى « ما دمت تنبذين حبى وتصارحيننى ببغضك فسأقتلك وأقتل عشيقك بطريقة سيظنها الناس انتحارا فلا توجه الى أية تهمة . وقد اتخذت العدة لذلك فاحذرى ياكورالى » والواقع ان كل شىء قد اعد باتقان .. كان يعلم انى التقى بكورالى فى هذه القاعة فجعل لنا من مكان اللقاء قبرا .

« لست أدرى الطريقة التى سنموت بها وان كنت أرجح انه بصيتركنا نموت جوعا . وعا قد مرت أربع ساعات ونحن فى الانتظار وجميع الابواب والنوافذ مسدودة بالحجارة . أما باب القاعة الاصلى فضخم متين يستحيل تحطيمه » .

وأزاح باتريس قطعة من الخشب وأخذ يقرأ :

« ها هو ذا يصعد السطح مرة أخرى .. ها هو ذا يطل علينا من الكوة .. لقد رأينا وجهه .. ايساريس .. الملعون .. !

« لقد أدلى من الكرة سلما من الحبال . وفى نهاية هذا السلم رأينا ورقة مرشوقة بدبوس . لقد اسرعت الى الورقة وفضضتها فاذا فيها هذه الكلمات : فلتصعد كورالى وحدها امنحها الحياة .. انى أمهلها عشر دقائق لتتروى والا .. » .

وصاح باتريس قائلا :

ـ اذن فعما قليل نرى سلم الحبال يتدلى من الكوة . وأكبر ظنى انه السلم الذى رأيته فى دولاب سيمون العجوز .

وشدت كورالى على ذراعه وهمست قائلة :

ـ انصت ..

وفعلا سمعا وقع خطوات فوق السقف .. ثم رأيا وجها يطل عليهما من الكوة .

وهتفت كورالى فى رعب قائلة :

ـ المجنون .. المجنون .. !

كان الوجه الذى تراءى لهما هو وجه سيمون العجوز .

وكما حدث فى الماضى حدث الآن .. فقد تدلى من الكوة سلم من الحبال رشقت فيه ورقة .

وفى الورقة الجملة الاتية :

« فلتصعد كورالى وحدها امنحها الحياة .. انى أمهلها عشر دقائق لتتروى والا .. » .

الفصل الثالث عشر

والا .. والا فالموت .. !

ونزع باتريس قطعة أخرى من الخشب وقرأ ما يأتى :

« لقد توسلت الى كورالى ان تصعد فأبت وترامت على قدمى متوسلة ·· انها تريد ان تموت معى » ·

واجتذب باتريس الفتاة الى صدره وهتف قائلا :

ـ يجب ان تصعدى يا كورالى ·· يجب ان تنقذى حياتك ·· يجب ان تعيشى ··

ولكنها اجابته فى بساطة :ـ بل سأبقى ·

فأجفل وصاح قائلا :

ـ هذا جنون ·· هذه تضحية لا مبرر لها ··

ـ لن أذهب ·

ـ ولكن ما السبب ·· لم هذا العناد ولا فائدةترجى من بقائك ·· ؟

سأبقى لانى أحبك يا باتريس ·

وتمتم باتريس قائلا :ـ اوه ·· انها تحبنى ·· انها تحبنى ·· !

ـ لقد ·احببتك يا باتريس منذ أول يوم رأيتك فيه ورأسك معصوب بالاربطة والضمادات · فلا تفرض على فراقا لا احتمله · ـ بل يجب ان تعيشى·

ـ لن أعيش الا معك ·· واذا مت فسأموت معك ·

فضمها الى صدره وقال فى صوت خافت يمزقه الحزن :

ـ اذن ابقى ·· !

وسمع الى جانبه حركة ضعيفة · فلما التفت رأى سلم الحبال يسحب الى الكوة · اذن فقد انقضت المهلة· لقد انقضت المهلة · وتباعدت وقع اقدام العدوالرهيب ·· لو لم يعد هنا مفر من الموت ·

وآخذ الهواء يثقل ويشتد وامتلأت الغرفة برائحة الغاز وشعر كلاهما بأن النفس بدأ يبدو شاقا عسيرا · ودار رأساهما · فجلسا على احدى الارائك ·

واسندت كورالى رأسها الى صدره فقال :

ـ تشجعى ·· لابد ان الشقى قد اطلق الغاز فى الغرفة ولكن صوته كان خافتا ضعيفا ·· ولم يلبث ان فقد الوعى ·

فتح باتريس عينيه فألقى نفسه راقدا على أريكة ·

ونظر حوله فرأى كورالى على اريكة مجاورة ·

ورأى شخصا يدخل من باب الغرفة ·· رآه من خلال ستار مسدل على عينيه وعقله ·· ولكنه كان موقنا من ان هذا الرجل ليس سيمون العجوز وانما كان رجلا غريبا لا يعرفه ·

واقترب الرجل من كورالى وسكب فى فمها قليلا من الماء من كوب يحملها ثم سقاه هو أيضا من نفس الكوب وقال له :

ـ لاتتعب نفسك يا عزيزى الكابتن بل استرح قليلا·

واغمض الكبتن عينيه وراح فى سبات عميق لم يستيقظ منه الا بعد نصف ساعة · فنهض واقفا ودنا من كورالى فرآها لا تزال مستغرقة فى النوم فخرج الى الحديقة يستنشق الهواء الطلق وهو يقول لنفسه :

ـ ألا ما أجمل الحياة ·· ولكن من ذا الذى أنقذنا !

وعلى قيد بضعة أمتار رأى رجلا جالسا على أريكة فى الحديقة مسندا رأسه الى ظهرها وقد استغرق فى النوم· وعلى ركبتيه كتاب مفتوح ·

وأخذ الكابتن باتريس يسائل نفسه عن هذا الرجل

ومن يكون . واقترب منه وتناول فى خفة الكتاب الموضوع على ركبتيه فوجد عنوانه « مذكرات بنيامين فرانكلين » وعلى غلاف الكتاب الحرفان : « ل.ب » .

وقال باتريس لنفسه :

ـ هذا هو الرجل الذى انقذنا .. انه هو الذى سقانا الماء .. وهو الذى حملنا من القاعة بعد ان غبت عن صوابى ولكن كيف وقعت هذه المعجزة ..؟

ولمس باتريس كتف الرجل فى رفق ففتح عينيه وقال:

ـ معذرة يا عزيزى الكابتن فانى رجل مرهق بالمشاغل الجسام . ولذا اغتنم الدقائق القليلة التى تتاح لى لاغفو فيها .. فى أى مكان كنت .. كما كان يفعل نابليون .. لقد قيل انه كان ينام على ظهر جواده وهو فى ميدان القتال فى الفترة التى تمضى بين اطلاق قنبلتين .. وكيف حال السيدة . ؟ اعنى مدام كورالى .. كنت يائسا من ونجاتها ولكن للهواء الطلق مفعولا سحريا ..

ثم ابتسم وقال :

ـ معذرة يا كابتن .. لقد نسيت ان أقدم اليك نفسى وما يؤسف له ان الخطاب الذى كتبته اليك سرق قبل وصوله الى يدك .. اننى ادعى دون لويس برينا من أسرة أسبانية عريقة وأوراقى الشخصية مستوفاة كاملة .

ثم ضحك وقال :

ـ ولكن هذا لن يفسر وجودى فى هذا المكان .. أنسيت ذلك اليوم الذى كتب فيه فابون اسمى على الارض منذ خمسة عشر يوما .. ؟

هيه .. حسنا .. لقد بدأت تفهم .. نعم . انا ارسين لوبين .

وجعل باتريس ينظر اليه فى ذهول وهو لايصدق انه ازاء ذلك المغامر الجرىء .. اذن فلم يكذب فابون حين قال انه يعرف ارسين لوبين ، ولم يكذب حين قال انه سيدعوه الى نجدة الكابتن ؟

وأخذ الكابتن بيد لوبين وقال : شكرا .. ؟

فضحك لوبين وقال فى جذل :

ـ لا داعى للشكر .. حسبى منك هزة من اليد .. واذا كان كثيرون من الناس قد انفوا فى الماضى ان يصافحونى فانهم يأنفوا اليوم . فقد فعلت من الخير ما يكفر مائة مرة عما أتيت من الخطايا . وانى ..

ثم أمسك بغتة عن الكلام وفكر برهة ثم عاد يقول :

ـ لا تتحرك فهناك من يراقبنا .

ـ ولكن من هو ؟

ـ شخص موجود على ضفة النهر فى نهاية الحديقة . فالجدار منخفض هناك وهو يطل من فوقه .

ـ ولكن كيف عرفت هذا وظهرك الى ناحية الضفة ؟

ـ انصت .. الا تسمع صوت محرك سيارة صادر من هذا المكان . ؟

فما الذى يدعو أحد الناس الى ان يوقف سيارة فى نقطة خالية من المساكن ؟ الا يكون معقولا (ونحن فى مثل هذا الظرف) انه يرمى الى مراقبتنا من فوق السياج ؟

ـ ولكن من يكون هذا الرجل فى اعتقادك ؟

ـ سيمون العجوز طبعا .

ـ سيمون .. ؟

ـ نعم .. ليتأكد مما اذا كنت انقذتكما فعلا .

ـ اذن فهو ليس مجنونا ؟

ـ لو كنت انا مجنونا لكان هو مجنونا كذلك .

ـ ولكن ..

ـ تريد ان تقول كيف حاول سيمون ان يقتلكما وهو الذى سعى الى الجمع بينكما .. وارسل اليك مفتاح الحديقة .. و .. و ..

ـ اذن فأنت على علم بكل هذا ؟

ـ طبعا .. والا لما استطعت ان انقذكما .

ـ يحسن بنا ان نعود الى السلاملك فان كورالى وحدها

ـ كن مطمئنا فليس هناك أى خطر .

ـ ولم .. ؟ ـ لانى موجود هنا .

فقال باتريس فى دهشة :

ـ اذن فسيمون يعرفك ويعرف انك موجود هنا ؟

ـ نعم . عن طريق الخطاب الذى كتبته اليك فسرقه هو .. وعلمه بقدومى اليوم هو الذى دعاه الى التعجيل بالعمل . ولكنى على عادتى المألوفة قدمت موعد وصولى بضع ساعات ففاجأته أثناء العمل .

ـ ولكن كيف عرفت هذه التفاصيل .. ؟

ـ قرأت مذكراتك الموضوعة فى درج مكتبك . فحين انبأنى رجالك انك خرجت مع كورالى وانهم لا يعرفون مكانكما فتشت غرفتك عسى ان اهتدى الى أثر مفيد اذ ان وقتى ضيق لا يسمح لى بالانتظار طويلا .. فعثرت على مذكراتك وقرأتها وعرفت منها كل هذه التفصيلات .

وقد نبهت على رجالك ان يكتموا أمر غيبتك عن مسيو دى ماليون فانى اكره ان يتدخل البوليس فى المسألة .. وقد استصبحت فابون عند قدومى وبمساعدته وثبت الى الحديقة من فوق السياج .

ـ ولكن الباب كان مفتوحا .. ؟

ـ كلا . بل وجدته مغلقا . وقد رأيت سيمون يخرج من الحديقة فى نفس اللحظة فأسرعت بالدخول الى البيت وانا أخشى ان أكون قد وصلت بعد فوات الوقت .

ـ اذن فقد كنت حتى هذه اللحظة تجهل ان سيمون هو عدونا الرهيب .

ـ وهل نسييت انى قرأت مذكراتك . ؟

ـ ولكن مذكراتى كانت غامضة اذ انى كنت ارتاب فى أمره دون ان اكون على يقين .

ـ ولكن اصبعه كان ظاهرا فى كل حادث . فما وقع شىء الا رأيت اصبعه فيه .

ـ ولم لم تقبض عليه . ؟

ـ وما الفائدة ؟ ان بقاءه يمكنى من متابعة خطواته للوصول الى الحقيقة كاملة . ولما دخلت الى البيت هدتنى رائحة الغاز الى مكانكما .

ـ ولكن كيف ملأ الغرفة بالغاز . ؟

ـ لقد أوصل أنابيب الرصاص التى رأيتها فى دولابه بأنابيب الاضاءة . ثم مد هذه الانابيب الى القاعة من خلال فتحة صغيرة فى الكوة كما فعل بوالديكما من قبل .

ـ وهل عرفت هذا ايضا . ؟

ـ أترانى أعمى لا اقرأ ما هو مكتوب على الجدران .. بل انى أعرف ما هو أكثر من هذا وان كان .

أو ان الكلام لم يحن بعد .

فصاح باتريس فى انفعال :

ـ الويل للشقى .. دعنى الحق به لأقتله . !

ـ انه لن يفلت منا فكن مطمئنا .. فالسيارة التى يركبها الآن انما يقودها أحد رجالى .

– ماذا تقول . ؟

– أقول انى عند قدومى آمرت أحد رجالى بأن يحوم بسيارة تاكسى عند باب الحديقة حتى اذا خرج سيمون ووجدها أمامه ركبها فيسهل على بذلك ان اعرف المكان الذى سيذهب اليه .

– ولكن لنفرض انه غادر باريس بالسيارة فكيف نلحق به .. ؟

– أنسيت اننا فى زمن الحرب وان السفر بالسيارات ممنوع الا لرجال السلطات العسكرية أو مندوبيهم .. ؟ أغلب ظنى انه سيستقل القطار الى احدى المحطات فاذا ما رجع الينا سائقنا واخطرنا بالامر لحقنا به بالسيارة بعد ربع ساعة على الاكثر .

– آمعك الان تصريح بالخروج من باريس .. ؟

فضحك ارسين لوبين وقال :

– بل معى تصريح يخولنى الذهاب الى أى بلد فى فرنسا . وهذا التصريح باسم دون لويس برينا وممهور بتوقيع وزير الداخلية ومصدق عليه من رئيس الجمهورية .

فتمتم باتريس فى دهشة : – رئيس الجمهورية !

– نعم يا عزيزى الكابتن . ولكنى اطالبك بالكتمان التام . فليس فى فرنسا كلها من يعرف انى ارسين لوبين الا خمسة أو ستة أشخاص من أصدقائى القدماء . ومن بينهم فابون الذى انقذنى من الموت يوما ما ونحن فى افريقيا .. وقد مضى على عامان وأنا فى مراكش أخدم بلادى بطريقة أخرى قد تكون أكبر أثرا من الانخراط فى سلك الجيش وما جئت الى فرنسا الا فى مهمة سرية ستنتهى بعد يومين .. وعند ذلك سأعود الى مراكش ثانية . فوقتى ضيق

كما ترى وليس فى وسعى ان أطيل اقامتى فى هذه البلاد ساعة واحدة . فضلا عن انى أقسمت لمن أوفدنى ان اكرس كل أوقاتى لتحقيق الغرض الذى أسعى اليه . وما كنت لالبى رجاء فابون لولا اهتمامى باسترداد الذهب . هذا الى أن بين المسألتين ارتباطا وثيقا . ولكن لابد من عودتى بعد غد اخفقت أو نجحت . فهيا الآن وقدمنى الى ماماكورالى

ثم ضحك وقال :

– ولا داعى لان تخفى عنها اسمى اذ لم تخلق بعد المرأة التى يطاوعها قلبها على ان تشى بأرسين لوبين .

وبعد آربعين دقيقة كانت كورالى فى مخدعها ورجال الكابتن ساهرون على حراستها على حين كان ارسين لوبين يتمشى فى الشرفة جيئة وذهابا وهو يدخن سيجارة ، ثم أخرج ساعته ونظر فيها قائلا :

– الساعة الآن الخامسة والنصف . فأمامنا أكثر من ساعة على مغيب الشمس . وهى كافية جدا .

– كافية .. ! أتريد ان تقول انك ستميط اللثام عن اللغز فى ظرف ساعة . ؟

– سأميط اللثام عن الجزء الجوهرى من اللغز فى خلال هذه الساعة . وبعد بضع دقائق سأدلك على المخبأ الذى كان يحفظ الذهب .

ونزل لوبين الى الحديقة ووقف عند كوة الكهف الواقع تحت قاعة المكتبة وقال يسأل الكابتن :

– اذن فقد كانت أكياس الذهب تلقى الى الكهف من خلال هذه الكوة .. ؟

– نعم . – أليس هناك منفذ آخر . ؟

– السلم السرى الذى يصل بين الكهف والمكتبة وكذلك

الكوة الاخرى المقابلة للنهر .

– اذن فالامر واضح .. تدخل الاكياس من هذه الكوة لتخرج من الكوة الاخرى . – ولكن ...

– لا محل للاعتراض يا عزيزى الكابتن ، فمادام ان هذا هو المنفذ الوحيد فلا مفر من استعماله . وسأريك الآن ما يقنعك .

وكان فى الحديقة أمام الكوة التى يزعم لوبين ان الذهب أخرج منها حوض كبير من الرخام تتوسطه نافورة على هيئة طفل يملأ الحوض بدلو فى يده .

واقترب لوبين من الحوض وفحصه ثم أمسك بتمثال الطفل وحركه قليلا فدار على محوره . وانفتحت فى ارضية الحوض فجوة صغيرة وبدأ الماء ينقص تدريجيا حتى نضب .. وعند ذلك ووقف لوبين فى وسط الحوض واخذ يفحص التمثال حتى رأى فى قاعدته التى كانت مغمورة بالماء حلقة من الحديد جذبها فانفتحت فى قاع الحوض فوهة يبلغ قطرها نحو ثلاثين سنتيمترا . فقال لوبين :

– لقد عثرتم على حبل من الحديد فى ركن الكهف والى جانبه كمية من الخطافات .. فهذا الحبل يشد فى الكوة ويوصل طرفه الثانى بهذه الفجوة التى هى عبارة عن فوهة مجرى الماء الذى كان يستعمل فى القرن الماضى لتزويد البيت بالمياه من النهر قبل ادخال النظام لحديث . وتثبت اكياس الذهب بالخطافات . وتعلق الخطافات فى الحبل فتنزلق عليه لان الكوة أعلى من فوهة المجرى . واذا ما بلغت الاكياس الفوهة ظلت تنحدر فى المجرى لانها مائلة الى الاسفل حتى تبلغ بلا شك مكانا قريبا من النهر . وهناك تنقل على احدى السفن الى الخارج . وهذا هو

السبب فى أن رجال العصابة لم يفطنوا الى ان الذهب خرج من البيت لانهم كانوا يراقبون المكان من الخارج . على حين ان الاكياس كانت تختفى من ثقب الحوض .. والان هيا بنا لنبحث عن الفوهة الثانية للمجرى .

وأمسك بذراع الكابتن وخرجا الى ضفة النهر . وقال لوبين :

– ان المجرى يتجه فى هذه الناحية فى خط مستقيم فلابد ان نعثر على الفوهة هنا .

ورأيا أمامهما سلما حجريا فى نفس الاتجاه يفضى الى مرسى للسفن كان يستعمل منذ ثلاثين أو أربعين سنة . ثم عدل عن استعماله بأن انشأت الحكومة على مسافة ثلاثة كيلو مترات مرسى آخر على نظام حديث . وفى نهاية السلم رأيا فى الجدار فوهة اخرى شبيهة تماما بفوهة المجرى التى فى قاع الحوض . وقال لوبين :

– فيما مضى كانت المياه تسحب من النهر بآلات خاصة وتدفع فى هذا المجرى الى الحوض . اما الآن فصار الذهب يرمى فى الفوهة فينحدر فى المجرى حتى اذا بلغ نهايته سقط فى عربات النقل الصغيرة التى تجر على القضبان وها هى العربات والقضبان أمامك كما ترى . وهى نفس العربات التى كانت تستعمل فيما مضى لنقل البضائع الى السفن .

وأخذا يسيران على القضبان التى كانت تنتهى حقيقة عند مرسى السفن . وعلى مقربة من المكان رأى لوبين كابينة من الخشب ينبعث منها الضوء فاقترب منها ورأى اعلى بابها لوحة من الخشب مكتوب عليها : « ورشة برتو – مقاول » .

فقرع لوبين باب الكابينة فخرج اليه رجل فى ثياب العمال فدس لوبين فى يده ورقة مالية وقال له :

ـ ألم تر فى هذه الايام قاربا يحوم فى هذه الناحية ؟

فأجابه العامل بقوله :

ـ نعم . رأيت قاربا بخاريا . وقد سافر بالامس .

ـ وما اسمه .. ؟

ـ هيلين الجميلة .. وكان فيه رجلان وامرأة يتحدثون بلغة أجنبية أرجح انها الانجليزية أو الاسبانية .

ـ هل ورشة برتو مستمرة فى العمل . ؟

ـ كلا . لقد سمعت ان صاحبها باعها بسبب الحرب .. وانى انتظر دورى التجنيد وان كنت مريضا بالقلب .

ـ ولكن ما الداعى لوجود القارب البخارى فى هذه الناحية والورشة مغلقة الابواب . ؟

ـ لا أدرى . ولكنى ظللت طول الليل اسمع حركة مركبات النقل فوق القضبان وهى رائحة غادية لتفرغ حمولتها فى القارب .

ـ وأى اتجاه اتخذ القارب ؟

ـ لقد سار فى طريق مانت .

ـ شكرا لك أيها الأخ .

وفى الطريق الى البيت قال الكابتن بلفال :

ـ اتعتقد اذن ان الثمانمائة كيس نقلت الى القارب وانها الآن فى طريقها الى الخارج . ؟

ـ هذا ما أخشى .

ـ ولكن كيف استطعت ان تهتدى الى سر المجرى ؟ .

فاخرج لوبين من جيبه كتابا قدمه الى باتريس فرأى انه « مذكرات بنيامين فرانكلين » التى كانت موضوعة على ركبتى لوبين عندما خرج باتريس الى الحديقة ورآه نائما

على الاريكة .

وأشار لوبين الى فقرة فى الكتاب فقرأها باتريس وكان هذا نصها :

« وفى كل يوم كنا نحضر الى قرية باسى التى تتلقى ماءها من النهر بواسطة مجارى المياه العجيبة التى تصل بين النهر وبين كل بيت من بيوتها .

« ولما كان عمدة القرية يعلم انى ولوع بالاختراعات الميكانيكية فقد قادنى الى حوض كبير يقع فى احد بيوتها وأرانى مجرى الماء الذى يتوسطه الحوض وكيف يغلق ويفتح . اذ يكفى ان يحرك التمثال الذى يمثل طفلا يملا الحوض ماء بدلو فى يده ليتسرب الماء من الحوض وينضب .. واذا ما جذبنا حلقة فى قاعدة التمثال انفتحت فوهة المجرى الذى ينحدر حتى نهر السين .

وقال لوبين وقد فرغ باتريس من تلاوة هذه الفقرة :

ـ كانت هذه الفقرة هى السبب فى اهتدائى الى سر المجرى .

ـ ولكن ما الذى دعاك الى قراءة هذا الكتاب . ؟

ـ الصدفة المحضة . لقد رأيته فى دولاب سيمون فأخذته ووضعته فى جيبى لاتبين السبب الذى يدعوه الى قراءة هذا الكتاب ، فكان فضولى سببا فى وقوفى على هذا السر .

وعندما وصلا الى بيت (ايساريس بك) وجدا فى الانتظار سائق السيارة التى اعدها لوبين عند باب الحديقة ليغرى سيمون بركوبها .

وصح ما توقعه لوبين اذ استقل سيمون السيارة وذهب بها الى محطة سان لازار حيث ابتاع تذكرة للسفر . فقال

لوبين يسأل السائق :

ـ الى أية جهة . ؟

ـ الى « مانت » ..

ـ مانت . ! أى الى الجهة التى سار فيها القارب . !

الفصل الخامس عشر

قال الكابتن باتريس بلفال فى صوت متهدج :

ـ الان وضح الامر .. ارسل ايساريس بك الاخطار للقارب « هيلين الجميلة » بواسطة حلقات الشرر. وبواسطة مجرى الماء المهجور تم اخراج الذهب من الكهف ونقله الى القارب . ولما قتل ايساريس استولى على سكرتيره سيمون جشع جنونى فواصل اعمال مخدومه .. وهو الان فى طريقه الى مانت ليستقبل القارب هناك وينقل الذهب الى باخرة ترحل به سرا الى خارج البلاد . وليس اسهل من اخفاء اكياس الذهب تحت اكوام الفحم . فهل نقف مكتوفى الايدى وندعه يفلت من بين أيدينا . ؟

فقال آرسين لوبين مجيبا :

ـ سأتعقبه فى السيارة الى مانت .

ـ دعنى أصحبك .

ـ وماما كورالى . من يسهر على حمايتها . ؟

ـ وأية ضرورة لذلك وسيمون فى مانت .. انى أعتقد انها الان بمنجاه عن الخطر .

ولكن لوبين رأى على سبيل الحيطة ان يدعو فابون ليعهد اليه بمهمة الحراسة فقاده الى مكان قريب من ورشة برتو وقال له :

ـ الزم هذا المكان منذ الساعة التاسعة ، ولا تتركه حتى أعود .. واذا رأيت سيمون فاقبض عليه . ولكن اياك ان تقتله فانى اريده حيا .

فقال باتريس معترضا : أتتوقع حدوث شىء . ؟

ـ على القائد يا عزيزى الكابتن ان يترك فى المدن التى يستولى عليها فصيلة من الجند لحراستها . وهذا هو ما فعلت . وهذه المنطقة فى نظر عدونا من أهم المناطق فمن الحكمة ان نسهر على حراستها .

وفى طريقهما الى مانت قال الكابتن بلفال :

ـ هناك نقطتان يكتنفهما الغموض فى رأيى .. اولاهما هى : من الذى قتله ايساريس بك فى الساعة السابعة والدقيقة التاسعة عشرة من صباح ٤ ابريل . ؟ فقد سمعت فى التليفون صرخات الاستغاثة والاحتضار . فمن هو القتيل . ؟ وأين هى الجثة . ؟

ولما لم يجب لوبين على هذا السؤال استرسل الكابتن قائلا :

ـ والنقطة الثانية هى سلوك سيمون .. مرت عشرون سنة وهو يحبنى آنا وكورالى ويسعى الى الجمع بيننا والانتقام لمصرع أبوينا .. فكيف ينقلب دفعة واحدة عدوا لدودا لنا .. فما رأيك فى هذا . ؟

ولما لم يسمع جوابا قال :

ـ والمثلث الذهبى . انه ايضا لغز غامض . فهل تعرف مكان هذا المثلث . ؟ أو هل تعرف على الاقل معنى المثلث الذهبى . ؟ ولكن مالك لاتجيب . ؟ انك تبدو شارد الذهن .. ففيم تفكر . ؟

ـ فى اكياس الذهب .. انك ياعزيزى الكابتن لاتفكر الا فى نفسك وفى كورالى . أما انا فأفكر فى الذهب لانه هو الذى يهمنى .

ولما وصلا الى مانت لم يكن عسيرا على لوبين ان يعرف

ان شخصا له أوصاف سيمون نزل فى « الفندق الكبير » فاتصل تليفونيا بالكابتن بلفـــال الذى كان قد نزل فى فندق آخر واخطره بالامر · وفى الساعة الرابعة اتصل به مرة أخرى وطلب اليه ان يوافيه الى حانة عينها له فى مدخل المدينة على ضفة النهر ·

وفى الحانة أراه سيمون وهو يتمشى على ضفة النهر قائلا :

ـ انه ينتظر بلا شك قدوم القارب ·· وها هى سيدة تحضر لمقابلته وأغلب ظنى انها السيدة التى أنبأنا العامل انها كانت فى القارب ·

فقال باتريس :

ـ لقد سبق ان رأيتها مرتين أو ثلاثا

وتحدثت السيدة برهة مع سيمون ثم ناولته برقيةفقرأها وأخرج من جيبه قلما وخط بضع كلمات على ورقة ناولها الى السيدة فتركته وانصرفت متجهة الى المدينة · فقـــال الكابتن :

ـ من حسن الحظ انه لا يعلم اننا نراقبه ·

ـ لكن يجب الحذر على أية حال · وانى لأتمنى اناعرف ما الذى كتبه فى هذه الورقة فانتظرنى هنا ·

وبعد نصف ساعة رأى الكابتن باتريس القارب هيلين الجميلة فى وسط النهر وهو ينزلق فوق الماء بسرعة لاتدل على انه مثقل بأكياس الذهب وبعد نصف ساعة أخرى رجع ارسين لوبين فقال له باتريس :

ـ ها هو ذا القارب · وقد وصل منذ ساعة فوقف فى عرض النهر فاستقل سيمون قاربا صغيرا وصعد اليه ·وعلى

أثر ذلك تابع القارب سيره · وهو الان على مســافة كيلو مترين ·

ـ اذن فلم تداخله الريبة فى شىء · ؟

ـ كلا ·· والنصر قريب بلا نزاع · وفى وسعنا ان نخطر السلطات العسكرية فترسل قاربا مسلحا فى أثر « هيلين الجميلة » فيستولى على الشحنة ويقبض على سيمون ·

فقال لوبين فى هدوء :

ـ اننا لن نخطر السلطات العسكرية بشىء على الاطلاق

ـ ماذا تقول · ؟

ـ أقول انى سأتولى العمل بنفسى · وعندما اضع يدى على الذهب سأتصرف فى الامر على الطريقة التى تروقنى ·

فبانت الحيرة على وجه الكابتن باتريس بلفـــال وهم بأن يتكلم ولكنه عاد فأمسك · فقال لوبين :

ـ انى أعرف ما يجول فى خاطرك يا عزيزى الكابتن·· انك تقول لنفسك ان لارسين لوبين شهرة قديمة معـروفة وانه ما اهتم بهذه القضية الا ليستولى على الذهب لنفسه·· ولكنى ارجوك يا كابتن ان لا تسلم نفسك الى الاوهام· قد تكون على حق فيما يتردد فى ذهنك ولن أحـاول ان أدافع عن نفسى · ولكنى اشترط الا يخطر البوليس بشىء والا نقضت يدى من المسألة ·

فقال باتريس بلا مبالاة :

ـ فى وسعنا اذا تخليت عن مساعدتنا ان نظفر بالذهب وحدنا · فانه الآن على ظهر هيلين الجميلة ·

ـ من يدرى · ؟

فتمتم لوبين يقول :

ـ ولكن ما الذى تنوى ان تفعل · ؟

ـ سأجعلك تستقل قاربا صغيرا توقف القارب (هيلين الجميلة) فى وسط النهر . ولن يجرؤ البحارة على متابعة السير اذا ما رأوك فى ثيابك العسكرية فاننـــا فى زمن الحرب والاحكام العرفية معلنة فى البلاد .

ـ واذا أبوا أن يقفوا ؟

ـ صعدنا الى القارب عنوة وفتشناه

ـ ولكن ألا زلت مصرا على شرطك . ؟

ـ نعم .. لا أريد ان يتدخل غيرنا فى الامر. اريد ان تترك لى ملء الحرية فى التصرف بالذهب .

ـ ولكن الا تشرح لى السبب . ؟

ـ انها حكاية يطول شرحها . ولكن ثق ان لوبين وان كان لصا الا انه وطني مخلص . فليس معقولا ان يستولى على هذا الذهب فى زمن تحتاج فيه البلاد الى كل سنتيم من أموالها .

ففكر الكابتن باتريس برهة ثم قال :

ـ قبلت شرطك .

وطارت بهما السيارة تطوى الارض فى نفس الاتجاه الذى يسير فيه القارب حتى اذا تجاوزته نزلا منها . فبقى لوبين على الشاطىء واستقل الكابتن باتريس قاربا صغيرا اعترض به المركب هيلين الجميلة واشار اليها بالوقوف . فما راى البحارة بذلته العسكرية حتى سارعوا الى تنفيـــذ الامر فصعد الضابط الى المركب وفتشه .

ولكن الشىء الغريب انه لم يجد فى المركب لا سيمون العجوز ولا حتى كيسا واحدا من أكياس الذهب !

فقال للبحارة : الى أين تقصدون ؟

ـ الى روين .

ـ ألم يصعد أحد الى مركبكم اثناء الطريق ؟

ـ صعد اليها فى مانت شخص يدعى سيمون ديودوكيس

ـ وأين ذهب ؟ ـ نزل بعد قليل ليستقل القطار .

ـ وماذا فعل على ظهر المركب ؟

ـ دفع الينا أجرنا .

ـ عن أى شىء ؟

ـ عن شحنة نقلناها فى باريس منذ يومين .

ـ شحنة من الاكياس .. ؟ ـ نعم .

ـ اتعرفون ما فيها .

ـ كلا . اذ حسبنا ان ننقد أجرا طيبا .

ـ والى أى مكان نقلتم هذه الشحنة ؟

ـ نقلناها الى باخرة صغيرة ترسو بالقرب من بواسى .. اسمها شموا . ـ وهل اقلعت هذه الباخرة ؟

ـ نعم . ولا شك انها بلغت الان روين . وقد ذهب سيمون ديودوكيس ليلحق بها هناك .

ـ منذ متى تعرفون هذا الرجل ؟

ـ هذه أول مرة نراه فيها . ولكننا نعرف انه يشتغل سكرتيرا لايساريس بك .

ـ اذن فقد سبق ان اشتغلتم مع ايساريس بك ؟

ـ أكثر من مرة .. وقمنا بنفس العملية .

ـ وهل كان يخطركم بواسطة حلقات من الشرر ؟

ـ نعم .

ـ وهل كنتم دائما تنقلون أكياسا ؟

ـ نعم . دون ان نعرف ما فيها . فقد كان هو ايضا يجزل لنـا العطاء .

ولما رجع باتريس الى لوبين انبأه بما كان قائلا :

ـ ان الشحنة الآن فى الباخرة « شموا » بالقرب من روين فى طريقها الى الخارج .

وانطلقت بهما السيارة فى الطريق الى روين . وكان لوبين هو الذى يتولى القيادة . ولكنه انعطف فجأة الى الطريق الموصل الى باريس فصاح باتريس :

ـ لقد اخطأت .. هذا هو طريق باريس .

ـ انى اعرف ذلك .

ـ ولكن يجب ان نذهب الى روين .. الم يقل البحارة .

ـ لقد خدعك البحارة .

ـ ولكن الباخرة شموا ..

ـ ليست هناك باخرة بهذا الاسم . واذا كانت موجودة فسنجدها خالية من شحنة الذهب .. لقد خدعنا سيمون .. انه مجنون ولكنه داهية أريب . تصور انه عرف كيف يلعب بأرسين لوبين .. لقد نصب لى فخا ليبعدنى عن باريس وقد نجح .. حفزنى أولا الى اللحاق بهيلين الجميلة وبعد ذلك سيطلقنى فى أثر الباخرة شموا التى لا وجود لها . وفى ذلك الوقت يكون سيمون العزيز موجودا فى باريس وقد سبقنا بثلاث أو أربع ساعات .

فارتعد باتريس حين ذكر ان حبيبته كورالى موجودة ايضا فى باريس وان من المحتمل انها الآن تحت رحمة سيمون الرهيب . وقال لوبين :

ـ لقد خدعنى هذا الشيطان بمذكرات بنيامين فرانكلين خبرنى . أكان هذا الكتاب موجودا فى دولاب سيمون عندما فتشته انت .. ؟

ـ كلا .

ـ اذن فقد تعمد الماكر ان يضعه فى طريقى وهو يعرف فضولى حتى يغرينى بقراءته لاهتدى الى المجرى فاذا ماوصلت الى فوهته الخارجية ورأيت النور ينبعث من ورشة برتو خطر لى بكل تأكيد ان اطرق الباب لاسأل ذلك العامل عن معلوماته فيزودنى ببيانات كاذبة مضللة .

فقال باتريس : اذن فهذا العامل ..

ـ شريك لسيمون وضعه فى طريقنا عمدا ليضللنى ويرسلنى الى مانت . ثم ليطلقنى فى أثر باخرة لاوجود لها . وبذلك تحقق مايرمى اليه وأخرجنى من الميدان فخلا له الجو

ـ ولكن ما الذى أوحى اليك بأنه أراد ان يضللك .. ؟

ـ وجود هذه المرأة فى مانت .. عندما قابلت العامل فى ورشة برتو خيل الى انه امرأة متنكرة ولكنى لم أعلق على الامر أهمية وظننتنى واهما .

فهتف باتريس قائلا :

ـ لاريب ان هذه المرأة هى جريجوار .

ـ جريجوار .. ؟ ولكن جريجوار اسم رجل لا امرأة .

ـ هذا صحيح . ولكن بورنيف أكد لنا ان جريجوار امرأة متنكرة فى زى الرجال . وهى عشيقة ايساريس بك .

ـ ولكنى لم أر فى مذكراتك أية اشارة من هذا القبيل ؟

ـ لابد انى نسيت هذه التفصيلات الثانوية .

ـ تفصيلات ثانوية .. ! لو انى كنت أعرف الحقيقة لما وقعت فى هذه الغلطة . ومع ذلك فلابد من ان انتصر ..

وظل لوبين يطوى الارض بسيارته حتى انتهى بهما المسير الى المكان الذى أمر فابون بالوقوف فيه للمراقبة . وصفر بفمه صفيرا خفيفا فلم يسمع جوابا فقال :

ـ ان فابون غير موجود . فلاشك ان المعركة قد بدأت .

فهتف الكابتن باتريس فى جزع : وكورالى .. ؟

ـ كن مطمئنا فان سيمون لا يعرف عنوانها .

وذلك ان لوبين رأى قبل مغادرة باريس ان ينقل كورالى الى مستشفى شارع لازار للعناية بصحتها من جهة وحتى لا يكون هناك من يعرف عنوانها من جهة أخرى .

وقال لوبين :

ـ ان هذه المرأة الملقبة بجريجوار تقيم فى الغرفة الملحقة بالورشة والمطلة على النهر فلنفتشها فان من المحتمل ان يكون فابون قد ترك لنا فيها أثر يرشدنا اذ يغلب على ظنى ان هذه الغرفة كانت ميدان المعركة . وانه عندما حضر سيمون لزيارة جريجوار رآه فابون فتبعه الى الغرفة .

ولكن الغرفة كانت خالية ليس فيها أحد فقال لوبين :

ـ يجوز ان تكون جريجوار قد انتقلت الى هذه المركب الراسية الى جوار الورشة والتى يبدو عليها انها مهجورة محطمة لا تصلح للسفر .

وما كاد لوبين يصعد الى المركب ويفتح باب مقصورتها حتى هتف قائلا : انظر يا كابتن .. ! ان جريجوار راقدة على الارض . ويظهر انها ميتة .

وكانت جريجوار مرتدية ثياب الرجال وعلى مقعد الى جوارها الثياب النسائية التى كانت ترتديها فى مانت فتمتم لوبين قائلا :

ـ لقد صح اذن ما توقعت .

وكانت النافذة المطلة على النهر مهشمة الزجاج فقال لوبين :

ـ هناك شخص قفز من هذه النافذة .

فصاح الكابتن باتريس فى رعب وجزع :

ـ انظر .. انظر .. وشاحها الازرق .. وشاح

المرضات .. وشاح كورالى .

فقطب لوبين جبينه وقال :

ـ هذا مستحيل .. ! كيف عرف الشيطان عنوانها ؟

ـ ولكن ..

ـ ولكن ماذا .. ؟ تكلم هل كتبت اليها .. ؟

ـ نعم .. ارسلت اليها برقية ونحن فى مانت .

ـ هل رآك أحد وانت تكتب هذه البرقية ؟ .

ـ كلا .. ولكن كانت فى المكتب امرأة تكتب برقية ايضا .. ومن المحتمل ان هذه المرأة هى جريجوار . والشىء الذى يؤسف له انى كورت مسودة البرقية والقيتها على الارض .

فتمتم لوبين يقول :

ـ اذن فالبرقية التى رأينا المرأة تعطيها لسيمون هى المسودة التى رميتها انت على الارض .. اسمح لى يا كابتن أن اقول انك اخطأت خطأ جسيما . وكان ينبغى ان تخطرنى بأنك ستكتب اليها .

ولم ينتظر الكابتن كلمة اخرى وانما هرع الى السيارة وانطلق الى مستشفى سان لازار وترك لوبين وحده فى المركب .. وبعد نصف ساعة رجع ثانية الى لوبين وهو يقول :

ـ انها غير موجودة فى المستشفى . وهاك البرقية التى أرسلتها اليها من (مانت) .

وكان هذا نصها :

« كل شىء على ما يرام فكونى مطمئنة ولا تغادرى المستشفى .. ولك حبى ـ الكابتن باتريس » .

فقال لوبين :

ـ وهذه طبعا هى البرقية الثانية التى ارسلها اليها سيمون منتحلا اسمك ٠ ؟

وقدم الى لوبين برقية أخرى هذا نصها :

« حدثت تطورات خطيرة ٠ وسنعود الى باريس فورا ٠٠ انتظرينى فى الساعة التاسعة عند باب حديقتك الخلفى ـ الكابتن باتريس » ٠

وما ان تلقت كورالى هذه البرقية حتى اسرعت بالخروج فوقعت فى الفخ المنصوب ٠ !

الفصل السادس عشر

عندما أدرك الكابتن باتريس ان كورالى وقعت مرة أخرى تحت رحمة عدوهم الرهيب زايلته شجاعته وتمتم قائلا :

ـ لقد قتلها الوحش ٠ ! لقد قتلها الوحش ٠ !

فقال لوبين محاولا أن يسرى عنه :

ـ انها لم تمت بعد وان كان الموت يتهددها ٠ وسننقذها اذ اوصلنا فى الوقت المناسب ٠

ـ هل اهتديت الى أثر جديد ٠ ؟

ـ طبعا ٠٠ أم هل تظن انى أمضيت النصف ساعة التى تركتنى فيها مستغرقا فى النوم ٠ ؟

ـ وماذا عرفت ٠ ؟

ـ لاداعى لان اضايقك بذكر التفصيلات الصغيرة ٠ ولكن يكفى ان اذكر لك استنتجت فى ايجاز ٠ فاعلم ان ماما كورالى حضرت فى الموعد المحدد حيث كان سيمون وشريكته فى انتظارها فقبضا عليها وكمماها وحملاها الى هذه المركب ٠ ولحسن الحظ رآهم فابون الذى أقمته للمراقبة فعرف سيمون من مشيته وقوامه على الرغم من الظلام ٠ فصعد الى المركب

واقتحم الغرفة والظلام يسودها فوقعت يده على المرأة بدلا من سيمون فقبض على عنقها باصابعه الفولاذية وهو يعتقد انها سيمون ٠ واغتنم سيمون هذه الفرصة ففر هاربا وحمل معه كورالى وأغلق الباب من الخارج ٠

ـ اذن فأنت تعتقد ان فابون هو الذى قتل هذه المرأة ٠٠ لا سيمون ٠ ؟

ـ بكل تأكيد ٠٠ والدليل على ذلك هذه الحنجرة المحطمة نتيجة لضغط أصابع فابون فانى اعرفه حق المعرفة ٠ وبعد ذلك هشم فابون زجاج النافذة وخرج منها ومشى على الكورنيش الخارجى حتى بلغ ظهر المركب ٠

ـ وفى هذه الحالة يكون سيمون قد سبقه بعشر دقائق أو عشرين ٠

ـ وأى ضير فى هذا ما دامت المرأة قبل موتها قد ارشدت فابون الى مخبأ سيمون انتقاما منه لأنه تخلى عنها وفر هاربا وقد كان ينبغى أن ينقذها ٠

ـ وكيف عرفت ان جريجوار وشت بصاحبها ٠ ؟

ـ اليك الدليل ٠٠ لقد عثرت على هذه البطاقة مثبتة فى جدار الغرفة بدبوس ذهبى ٠ وانى اعرف هذا الدبوس لانى انا نفسى الذى اعطيته لفابون ليعلق فيه «وسام صليب مراكش » الذى انعمت عليه به السلطات العسكرية اعترافا بشجاعته ٠٠ فمما لانزاع فيه ان المرأة أومأت بيدها الى درج هذه المنضدة ٠ وها انت ذا تراه مفتوحا ففتحه فابون فوجد فيه بطاقة ٠ ولما كان أميا فقد ثبتها فى الجدار بالدبوس ليفهمنى انه هو الذى تركها لى ٠

وكان الاسم المكتوب على البطاقة هو : « أميدى فاشرو ـ ٨ شارع جويمار » ٠٠ فقال لوبين :

– ان هذا الشارع قريب جدا من هذه المنطقة .

وعندما مر بورشة برتو قال :

– كان هنا سلم من الحبال فى المرة السابقة . ولاوجود له الان فلا تنس هذه المسألة فان لها أهميتها .

ولما بلغا المنزل رقم ١٨ بشارع جويمار طلبا مقابلة مسيو أميدى فاشرو فقال البواب :

– اننى أنا أميدى فاشرو . – أنت ؟ .

– نعم . فماذا تريد يا سيدى ؟ .

فأراه لوبين علامة البوليس قائلا فى صوت جاف .

– انى من رجال البوليس وأريد منك جوابا صريحا لا مواربة فيه. اننا نبحث عن سيد يدعى سيمون ديودوكيس .

فقطب البواب جبينه وقال :

– لتنزلوا به الاذى . ! محال ان أدلكم عليه . !

أنى أوثر والموت على ان أرشدكم الى هذا الرجل الطيب مسيو سيمون . !

فعدل لوبين عن الغلظة الى الرقة وقال :

– نحن ننزل به اذى . ! اننا على العكس من ذلك . ما جئنا الا لندفع عنه خطرا جسيما .

فصاح مسيو فاشرو فى انزعاج :

– خطرا جسيما . ! انى لم أره خائفا كما رأيته اليوم .

– اذن فقد جاء ؟

– نعم . بعد منتصف الليل بقليل ثم انصرف .

– أترك أحدا هنا . ؟

– كلا .. ولكن كان فى نيته أن يحضر شخصا معينا .

– سيدة طبعا . !

فتردد مسيو فاشرو فقال له لوبين :

– اننا نعرف ان سيمون ديودوكيس كان يسعى الى انقاذ سيدة يكن لها احتراما عظيما .

– اذا كنت تعرف ذلك فاذكر لى اسم هذه السيدة .

– مدام ايساريس طبعا ، ارملة المالى الذى كان سيمون يعمل سكرتيرا له .

فقال مسيو فاشرو وقد داخله الاطمئنان :

– انى اعرف مسيو سيمون منذ زمن طويل يوم كنت اشتغل بالنجارة . ولطالما أقرضنى ما مكنى من متابعة أعمالى . وفى كثير من الاحيان كان يختلف الى مسكنى هذا ليتبادل معى الحديث عن شئون عائلته .

عن ايساريس بك طبعا وعما ينوى بخصوص باتريس بلفال ؟

فتردد البواب للمرة الثانية . ثم قال :

– انى لم أر من هو أكرم قلبا من مسيو سيمون .. انه ولوع بعمل الخير وقد خاطر بحياته الليلة من أجل مدام ايساريس .

– أريته منذ وفاة ايساريس بك . ؟

– تلك اول مرة أراه فيها . فقد وصل بعد منتصف الليل بقليل وكان شديد الانفعال وأخذ يحدثنى فى صوت منخفض مضطرب ويقول ان هناك شخصا يتبعه . شخصا مبتورة احدى ذراعيه ولكن يده الباقية اذا انطبقت على عنق مخلوق كان الموت مصيره . كما انبأنى أن أعداءه يبحثون عن مدام ايساريس لقتلها . وانه خبأها الى أن اساعده على احضارها لانها غائبة عن صوابها . ولكنه عاد يقول :

« ولكن لا .. سأذهب وحدى .. نعم وحدى .. الاتزال غرفتى محجوزة باسمى . ؟ » وذلك انه يستأجر عندنا مسكنا صغيرا مكونا من غرفتين كان يختلف اليه كلما أراد أن يختبىء .

وقال باتريس فى تلهف : وبعد ذلك . ؟

ـ وبعد ذلك انصرف ولم يعد حتى الآن . وانى اخشى أن يكون عدوة قد ظفر به . كما أخشى أن تكون السيدة قد ماتت .

ـ ماتت . ؟ ـ ماذا تعنى ؟ .

ـ لقد قال لى مسيو سيمون فى اثناء حديثه ان علينا أن نسرع لانقاذها لانه خباها فى مكان تحت الارض تستطيع أن تتنفس فيه بسهولة ساعتين أو ثلاثا ثم يفسد الهواء فتموت السيدة اختناقا .

وما ان سمع باتريس هذه الكلمات حتى استولى عليه الغضب وصاح :

ـ تكلم أيها الرجل . ! قل لنا اين خباها . ! اتظن ان فى وسعك ان تصمت عند هذه النقطة الخطيرة . ! تكلم أيها الرجل . !

وأخرج مسدسه وصوبه اليه وهو يقول :

ـ اذا لم تتكلم فى خلال دقيقة واحدة قتلتك كالكلب الحقير انت وصاحبك سيمون ديودوكيس .. ! نعم .

سأقتلك بلا تردد لان الكابتن بلفال ليس بالرجل الذى يتردد ! فارتعد البواب وقال :

ـ الكابتن بلفال .. ! انت الكابتن بلفال .. !

ـ نعم . انا الكابتن بلفال . واقسم بشرفى العسكرى انى سأقتلك واقتل سيمون ان لم تتكلم .

فصاح البواب :

ـ تقتل سيمون أيها التعس .. اذن فانت لا تعرف الحقيقة .. انك ابنه .. نعم .. انك ابن مسيو سيمون .

وجمد الكابتن باتريس فى مكانه ثم انفجر ضاحكا وقال :

ـ ما هذا الهذيان أيها الرجل ؟ انا ابن سيمون ديودوكيس .. ! ؟ اتريد ان تخدعنى حتى لا اقتله .. ! هذه الحيلة لا يمكن ان تجوز على والا قتلتك وقتلته ايضا .

ـ تقتله .. ! تقتل اباك .. ! انك لاتدرى ماتقول .. كيف تقتل اباك وهو لا يفكر الا فى سعادتك .

فتدخل لوبين قائلا :

ـ ارجوك ان تصمت يا كابتن ودعنى اميط اللثام عن هذه المسألة .

حدثنى يا مسيو فاشرو بما تعلم .

ـ ان سيمون ديودوكيس يدعى فى الواقع ارماند بلفال . وكان يحب والدة كورالى .

فقال لوبين :ـ وقد قتلا فى ١٤ سنة ١٨٩٥ .

فقال فاشرو :

ـ كلا .. ان والدة كورالى هى التى قتلت فقط . أما ارماند بلفال فنجا من الموت وعاش منتحلا اسم سيمون .

فصاح الكابتن :

ـ اتريد ان تقول ان هذا الوحش هو ابى .. ! هذا محال .. ! محال .. ! .

ـ انه أبوك واقسم على ذلك . فقال لوبين :

ـ انى اعرف قصة مصرعهما . فحدثنى كيف نجا أرماند .

– لقد نقلا الى الكنيسة متسممين بغاز الاستصباح وقيل انهما انتحرا فدعيت لاصنع لهما تابوتين اذ كنت احترف النجارة . فصنع التابوتان ووضعت الجثتان فيهما . وبينما أنا جالس عند التابوتين رأيت لشدة فزعى جثة الرجل تتحرك فى تابوتها . ثم رأيته ينهض واقفا فاستولى على الرعب وجمدت فى مكانى وقد كدت أفقد العقل . فاقترب منى وحدثنى بقصته وطلب الى أن أقسم على الكتمان حتى ينتقم من القاتل اذ ان حبيبته ماتت فعلا ولم تقو على المقاومة .

أما السبب فى قتلها فيرجع الى انها رفضت ان تتزوج ايساريس عقب وفاة زوجها وآثرت عليه ارماند بلفال . وبواسطتى اشترى ارماند بلفال مرة أخرى السلاملك المجاور لقصر ايساريس وأقام فى حديقته ضريحا فى داخله قبران كان أحدهما خاليا بطبيعة الحال . أما الثانى فدفنت فيه حبيبته .

فصاح الكابتن باتريس :

– هراء .. ! كلام فارغ .. لا استطيع ان اصدق ان هذا الوحش هو أبى .. !

– اذن اليك الدليل .. انك تعرف خط أبيك بلاشك . وقد كان يكتب اليك وأنت فى المدرسة الداخلية فى انجلترا فقارن خطه بخط الرسائل التى يبعث بها الى من حين لآخر .

وأخرج مسيو فاشرو من درج مكتبه رزمة من الرسائل قدمها الى الكابتن فتصفحها هذا وتمتم فى ذهول يقول :

– نعم .. هذا هو خط ابى .. ولكن .. ولكن ..

ولكنه حبسنا فى القاعة وسلط علينا الغاز كما فعل ايساريس به وبحبيبته من قبل .

فقال البواب مدافعا :

– انك مخطىء فى هذا يا سيدى .. انك واهم بلاشك .

– محال ان يكون هذا الرجل هو أبى .

فأخذ لوبين بذراعه وهو يقول :

– هيا بنا يا كابتن لنبحث عن كورالى .

– ولكن أين يمكن أن نجدها .. ؟

– فى منطقة الذهب بلا شك .. فالذهب يشل ذهن سيمون . ولقد قال لفاشر وانه خبأها تحت الارض فمن انه حبسها مع أكياس الذهب . سنجد كورالى حيث يوجد الذهب .

فقال الكابتن باتريس فى انفعال :

– مستحيل ان يكون هذا الرجل هو أبى .

ولكن لوبين لبث صامتا لا يتكلم :

ولما اقتربا من ورشة برتو سمعا دوى طلق نارى فهتف لوبين :

– ما هذا الدوى . ! ان فابون لا يحمل مسدسا فمن المؤكد ان سيمون هو الذى أطلق هذه الرصاصة وقد أطلقها على فابون حين رآه يتعقب خطواته .

واسرعا الى باب حديقة السلاملك . وحاول باتريس ان يفتحه بالمفتاح فوجده مغلقا بالمزلاج من الداخل فقال لوبين :

– هذا نذير بأن شيئا خطيرا قد حدث فى الداخل . ولا شك ان سيمون هو الذى أغلقه بالمزلاج وكان السبب

فى اختفاء سلم الحبال من الورشة هو ان فابون أخذه ليتسلق به الجدار وليتمكن من الدخول الى الحديقة . فلما رآه سيمون أطلق عليه النار . وهناك مسألة أخرى مؤكدة وهى ان فابون يعرف المكان الذى حبست فيه كورالى . أو بعبارة أخرى انه يعرف مخبأ الذهب مادام ان سيمون خبأها فيه وفابون فى أثره يتعقب خطواته .

وبواسطة شجرة قريبة من سياج الحديقة استطاع لوبين ان يثب الى الداخل . فرأى السلم ملقى على الارض فالقاه الى الكابتن الذى كان فى الخارج فتسلقه ونزل بدوره الى الحديقة .

ومشيا الى السلاملك فى حذر .

وهناك رأيا فابون طريحا على الارض والدماء تنزف من جرح فى رأسه .

فتمتم لوبين يقول :ـ لقد صح ما توقعت .. !

والى جانبه كان سيمون ديودوكيس طريحا على الارض .

وكان سيمون يتنفس فى صعوبة . ولكنه كان غائبا عن رشده . أما فابون فكان جثة هامدة . وعلى الرغم من موته لم يشأ ان يفلت فريسته فقد كانت أصابعه منطبقة على العنق فى تصلب تشنجى كأنها مخالب من الفولاذ .

الفصل السابع عشر

حمل لوبين سيمون ديودوكيس الى احدى غرف السلاملك .

وعندما فتح سيمون عينيه وقع بصره على باتريس فصاح:

ـ أهذا انت يا باتريس ؟ كم كنت أتمنى هذا اللقاء . ولكنى لم اكن اتصور اننا سنلتقى كعدوين .

فصاح باتريس فى غضب :

ـ اننا عدوان لدودان فقل أين خبأت كورالى والا ..

ـ انك لن تلحق بى أذى .. الا تعلم انى ابوك .. كم أنا سعيد بهذا اللقاء ! .

ـ انى لا أصدق هذه المزاعم .

ـ انها الحقيقة يا باتريس .. انك ولدى .

ـ كذب .. ! افتراء !.. اذا كنت ابى فكيف حاولت ان تقتلنى وكيف حاولت ان تقتل المرأة التى تعلم انى أحبها !

ـ كنت مجنونا يا ولدى .. لقد أثرت النكبات التى مرت بى فى عقلى فاخذت تعترينى نوبات جنونية .. وزادنى جنونا الجشع وحبى للذهب ..

يا الهى .. أحاولت حقا ان اقتلكما .. ؟ انى لاأذكر شيئا من هذا .. يخيل الى انى كنت فريسة كابوس مزعج .. أنا اقتل ولدى باتريس .. ؟ يا الهى .. ! ما أفظع هذا .. !

وكان يتكلم فى صوت متهدج يدل على اعمق التأثر وتمتم يقول :

ـ اصفح عنى يا ولدى المسكين .. انى لا أحب مخلوقا فى هذه الدنيا بقدر ما أحببتك .. ولكنه الجنون .

ـ واين كورالى ؟

ـ لا استطيع ان اجيبك على هذا السؤال .

ـ اذا ماتت كورالى قتلتك بلا رحمة !

ـ انها على قيد الحياة . وانى أقسم على ذلك .

ـ اين هى اذن ؟ سأنسى الماضى اذا ارشدتنى اليها .

ـ اصغ الى .

ولكنه أمسك فلم يتكلم ونظر الى ارسين لوبين .

فقال باتريس :

ـ يمكنك ان تتكلم أمامه فانى لا أكتم عنه أمرا .

ـ هذا مستحيل .. ان كورالى فى مخبأ الذهب فاذا عرف هذا الرجل السر سلبنى هذا الكنز .

فقال لوبين :

ان الشريف سيمون يريد ان يساومك .. سيرشدك الى مكان كورالى اذا وعدته بأن تترك له الذهب . فما رأيك فى هذه الصفقة ؟

فلم يجب باتريس . فاسترسل لوبين قائلا : اعلم ان الصفقة ستتم على الفور بمجرد خروجى من هذه الغر ولكنى لن أخرج .

فصاح باتريس قائلا :

ـ اتصر على البقاء وانت تعلم ان كورالى تعانى سكرات الموت .. ؟ وان بقاءك معناه القضاء عليها فابتسم لوبين وقال فى بساطة :ـ لن اخرج .

فقال باتريس فى انفعال :

ـاذا لم تخرج قضيت عليها بالموت .

ـ فمشى لوبين الى الباب ثم تحول فجأة الى باتريس قائلا :

ـ سأذهب الان الى قاعة الموت . وانى متأكد من انى سأعثر فيها على أثر يرشدنى الى مكان كورالى قبل ان يفضى اليك سيمون بالسر .

ولما خرج قال باتريس يخاطب سيمون :

ـ تكلم .. تكلم ، اسرع فان الوقت ضيق .

ـ أموقن انت من انه لا يسمع حديثنا ؟

ـ كل اليقين . فان القاعة فى الناحية الاخرى من السلاملك .

ولكن سيمون ظل صامتا لا يتكلم فقال باتريس يستحثه :

ـ تكلم ولا تضيع الوقت .. هل كانت كورالى على قيد الحياة عندما تركتها ؟ .

ـ نعم .. وقد كان ذلك منذ خمس أو ست ساعات .. ومن المحتمل ان تنفسها قد ضاق الان .

ـ اذن تكلم .. تكلم .. صف لى المخبأ فاسرع اليها .

ـ بل سنذهب معا .. فساعدنى على النهوض .

ـ ولكنك متعب محطم من أثر نضالك مع فابون .

ـ سأتوكأ على ذراعك .

وساعده باتريس على النهوض . ولكن سيمون عاد يقول:

ـ وهذا الرجل ؟ أين هو الان ؟

ـ انه فى القاعة الكبرى .

ـ فى هذه الحالة سيتبعنا اذا ما خرجنا فيكتشف مخبأ الذهب ، وأنا أريد هذا الذهب لنفسى .

ـ وما العمل الآن ؟

ـ اغلق عليه باب القاعة .

ـ اغلق الباب على هذا الرجل الذى لم يتردد فى مساعدتى بكل ما فى وسعه ؟ محال .. محال .. !

ـ فى هذه الحالة لن ارشدك الى مخبأ كورالى .

ومرت فترة من الصمت ثم قال سيمون :

ـ اغلق عليه الباب عشر دقائق أو ربع ساعة على الاكثر .. ان المخبأ قريب جدا . وفى وسعك ان تعود

اليه فتفتح له الباب بعد بضع دقائق .. ؟

فلم ير باتريس بدا من التسليم . اذ كيف يرفض هذا الشرط وهو يعلم ان حياة صاحبته معلقه بخيط دقيق . ؟

فخرج الى الردهة واقترب من القاعة فى خطوات خفيفة فرأى شعاع مصباح لوبين الكهربائى يتراقص على الجدران فى داخل القاعة فجذب الباب وأغلقه بالمزلاج من الخارج . ثم رجع الى سيمون قائلا :

ـ لقد اغلقت الباب فلا تشترط شروطا أخرى .

ولما خرجا الى الحديقة مشى به سيمون الى الضريح وقال له :

ـ انك تعلم ان فى هذا الضريح قبرين . فى أحدهما جثة حبيبتى كورالى . أما القبر الثانى فخال .. وفى هذا القبر خبأت الذهب وحبست خطيبتك كورالى .

ـ تبا لك .. ولكن كيف استطعت ان ترفع غطاء القبر على حين لا يقوى على ذلك الا ثلاثة من الرجال الاشداء .. ؟

ـ انه يفتح بطريقة آلية ، فما عليك الا أن تحرك هذا الصليب الرخامى فيرتفع الغطاء الحجرى بسهولة .

فوثب باتريس الى الصليب وجعل يجذبه بكل قوته طبقا لارشاد سيمون .. فدار الصليب على نفسه وتحرك الغطاء الحجرى وارتفع فقال له سيمون :

ـ ادخل الان الى القبر تجد أمامك الذهب .. وخلف الاكياس تجد كورالى . !

وتكلم باتريس من داخل القبر فقال : ـ أين أكياس الذهب . ؟

فأجابه سيمون من الخارج :

ـ تقدم بضع خطوات .. انها على مسافة مترين من المدخل .

ـ ان الظلام حالك . وقد مشيت ما يقرب من مترين .

ـ أمش خطوتين أو ثلاثا .

وفى هذه اللحظة أمسك سيمون بالصليب الرخامى وحركه فى اتجاه عكسى فانطبق الغطاء على القبر وفى داخله باتريس .

وضحك سيمون ضحكة جنونية وتمتم قائلا :

ـ أظننت ايها الغبى انى سأرشدك حقا الى مخبأ كورالى . ! ها أنت ذا سجين فى القبر ولامهرب لك منه . فأما صاحبك لوبين فسجين فى القاعة وسأقتله على الفور .

ورجع الى السلالم فأوصل انبوبة غاز الاستصباح بالقاعة كما فعل من قبل حين حبس فيها باتريس وكورالى .. وتمتم قائلا :

ـ بعد ربع ساعة سيكون لوبين أيضا جثة هامدة .

ولم يضيع سيمون دقيقة أخرى ، بل أسرع على الفور الى المنزل رقم ١٨ بشارع جويمار فدخل الى غرفة البواب . فما رآه فاشرو حتى هتف به وقد رأى اضطراب هندامه :

ـ ماذا بك يا سيدى . ؟ هل اصابك سوء . ؟

ـ نعم .. انه هذا السنغالى المتوحش .. لقد لحق بى ، ولكنى استطعت ان اتخلص منه بعد نضال عنيف .

ـ ألم تقابل باتريس وصاحبه . ؟

ـ باتريس . ؟ ! وهل جاء هنا . ؟

وكان يتكلم بصوت خافت بشأن الرجل الخائف .

ـ نعم ·· لقد جاء فى هذه الليلة مع صديق له ·
ـ وهل صارحته بالحقيقة · ؟
ـ نعم ·· قلت له انك أبوه ·
فتمتم سيمون قائلا :
ـ هذا اذن هو السبب فى انه لم يدهش حين عرف منى الحقيقة ؟ ـ وأين هما الان · ؟
ـ مع كورالى ، فقد استطعت آن أنقذها · ولكن اسرع فانى فى حاجة الى طبيب ·· هناك طبيب يدعى الدكتور جيراديك فاتصل به تليفونيا ·
فقال مسيو فاشرو :
ـ ولكن الا تعلم ان لهذا الطبيب سمعة سيئة ، ويشاع عنه انه يزور جوازات السفر ويبيعها لغير المرغوب فيهم · ؟
ـ فليكن · وما شأنى انا بذلك · ؟ حسبى منه أن عيادته قريبة وانه طبيب ماهر ·
وبحث فاشرو فى الدليل عن رقم تليفون الدكتور جيراديك ولكنه ألغى الخط مشغولا فدون الرقم على صحيفة الى جانب التليفون ثم عاد يطلبه بعد بضع دقائق ، فأجابه الخادم بأن الطبيب قد خرج وسيعود فى الساعة العاشرة · فقال سيمون مخاطبا فاشرو :
ـ قل للخادم انى سأحضر لمقابلة الطبيب فى الساعة العاشرة ·· واذا سألك عن اسمى فاذكر له اسمى الحقيقى
ولما انتهى فاشرو من الحديث التليفونى قال له أرماند بلفال ·
سيمون :

ـ أتعتقد ان أحدا رآنى عند قدومى · ؟
ـ كلا ·· فان السكان لا يغادرون مساكنهم عادة الا بعد ساعة أو ساعتين من اشراق الشمس · وأغلب ظنى انهم لازالوا نياما ·
ـ انى متعب وفى حاجة الى النوم ·· فهل استطيع أن أنام فى مسكنك لانى أخشى ان يفاجئنى اعدائى اذا آويت الى غرفتى ·
ـ يمكنك ان تنام طبعا فى مسكنى فهيا بنا ·
ـ وأين مسدسك · ؟ انى فى حاجة اليه ·
فأتى البواب بمسدسه وصحب سيمون الى مسكنه وقد ذهب اليه عن طريق البدروم بناء على طلب سيمون الذى كان يخشى أن يراه أحد ·
ولما صار فى المسكن قال سيمون لمسيو فاشرو :
ـ أرجوك أن تغلق جميع الابواب والنوافذ ·
فأغلقها ورجع اليه فقال له سيمون :
ـ اعطنى مسدسك · ـ ها هو ·
ـ اذا أطلقت رصاصة فى هذه الغرفة فهل تعتقد أن السكان سيسمعون الدوى · ؟
ـ كلا بالطبع · لان النوافذ مغلقة ومسكنى منعزل عن العمارة ، ولكن ما الذى يدعوك الى اطلاق النار · ؟
ـ أريد ان أقتل شخصا يضايقنى ·
ـ ولم يضايقك ·· ؟
ـ انه يعرف عنى أشياء كثيرة · وقد يشى بى ·
وفى حركة سريعة رفع سيمون المسدس وضغط الزناد فترنح فاشرو وسقط على الارض جثة هامدة دون أن تصدر

عنه صرخة واحدة اذ استقرت الرصاصة فى قلبه ٠

ووضع سيمون المسدس على مقربة من جثة البواب وهو يقول فى نفسه :

ـ عندما يكتشفون انه مسدسه سيعتقدون انه انتحر ٠

ثم أخذ يعد على اصابعه الاشخاص الذين قتلهم فى خلال الساعات القليلة الماضية فكانوا ستة : جريجوار ٠ وكورالى ٠ وفابون ٠ وباتريس وارسين لوبين ٠ وأخيرا فاشرو ٠

وضحك ضحكة جنونية ثم صعد الى الفراش ٠ واستغرق فى النوم ٠

الفصل الثامن عشر

فى الساعة العاشرة كان سيمون ديودوكيس فى عيادة الدكتور جيراديك وهو يفحص عنقه قائلا :

ـ ان الامر بسيط ٠٠ لحسن الحظ ان شرايين العنق لم تنفجر نتيجة لضغط اللص الذى هاجمك على الحنجرة ٠

وبينما كان الطبيب يصف العلاج قال سيمون :

ـ انى صديق لمدام البيون ٠

فلاح على الطبيب انه لم يفهم معنى هذه الجملة فقال سيمون مستطردا :

ـ من المحتمل انك لا تعرف هذا الاسم ، ولهذا يجب أن أصارحك بأن مدام البيون هو الاسم الذى تنتحله مدام موجرانيم ٠ وأظن ان فى وسعنا فى هذه الحالة أن نتفاهم ٠

فقال الطبيب والدهشة ظاهرة على وجهه :

ـ نتفاهم على أى شىء ٠ ؟

ـ وما الداعى الى الحذر يا دكتور ونحن منفردان والابواب مغلقة ٠٠ ؟

ـ انى لافهمك يا سيدى ٠

ـ صبرا ٠ فسأشرح لك كل شىء ٠

ـ ان مرضاى فى الانتظار ٠

ـ لن اعوقك الا دقائق معدودات ٠

واسترسل سيمون والطبيب يستمع اليه فى دهشة :

ـ انى يونانى الجنسية ٠ وبلاد اليونان لاتزال على الحياد فمن السهل على ان احصل على جواز سفر لمغادرة فرنسا ٠ ولكن لدى من الاسباب الشخصية ما يرغمنى على عدم استخراج جواز باسمى الحقيقى ولهذا جئتك لاسألك ان تقدم جوازا مزورا متقن التزوير يمكننى من مغادرة البلاد دون ان اتعرض لاى خطر ٠

فنهض الطبيب واقفا فى غضب فقال سيمون :

ـ لا تغضب يا سيدى الطبيب فانى على استعداد لان انقدك الثمن فكم تطلب ٠ ؟

فلم يجب الطبيب وانما اشار الى الباب فى انفه ، فمشى سيمون الى الباب وهو يقول :

ـ ايكفيك عشرون ألف فرنك ؟

ـ هل يجب ان أنادى الخدم ليلقوا بك الى قارعة الطريق ٠ ؟

ـ فلنجعل الثمن اذن ثلاثين ألف فرنك ٠ ؟ أو أربعين أو خمسين ؟ ان الثمن لا يهمنى فانى أريد ان أخرج من

البلاد بأية طريقة فاطلب ما شئت .. انى اريد جوازا لا يرتاب أحد فى انه مزور .. اريد جوازا شبيها بذلك الذى اعطيته لصديقتى مدام موجرانيم .. انى فى حاجة اليك يا دكتور ولهذا لن اساومك . فما رأيك اذا نقدك مائة ألف فرنك .. ؟

فنظر اليه الطبيب برهة ثم قال :

– اظن ان فى وسعنا أن نتفاهم .

– اذن فقد قبلت مائة ألف فرنك ؟

– انى لم أقل هذا . بل قلت ان مائة ألف فرنك تعتبر أساسا للمباحثة ..

فأدرك سيمون ان هذا الرجل جشع يريد ان يستغل الموقف لابتزاز المال منه فقال :

– تكلم اذن – ما اسمك الحقيقى .. ؟

– يستحيل ان اصارحك به لأسباب شخصية .

– اذن فالثمن مائتا ألف فرنك .

– هذا ثمن فاحش .

– ما الذى يرغمك على القبول .. ؟ لابد أن اعرف اذا كنت جاسوسا أو رجلا شريفا لاقدر الاخطار التى قد أتعرض لها بتزويدك بجواز المرور .

– انى رجل شريف ولا شأن لى بالجاموسية .

– وهل من شأن الرجل الشريف ان يهرب خفية كما تريد أن تفعل ؟ ويكتم اسمه ويرضى بأن يدفع مائة ألف فرنك ثمنا لجواز سفر ؟ ان من يرى سلوكك هذا يعتقد على الفور انك لص أو قاتل .

فلم يجفل سيمون وانما قال فى هدوء :

– فروض وتخمينات لا أساس لها .. لقد اخبرتنى مدام موجرانيم انك لم تأخذ منها شيئا . وبصفتى صديقا لها ارجو ان لا تغلو فى مطالبك .

فضحك الطبيب وقال :

– انى فى الواقع لم اتقاض مالا من مدام موجرانيم .. ولكنى تقاضيت منها ما هو أنفس من المال . فانها امرأة جميلة و .. ولكن لماذا قطبت جبينك .. يا سيدى .. ؟ يظهر ان لك بمدام موجرانيم علاقة خاصة .. فاغفر لى اذن أنى أفضيت اليك بما كان بينى وبينها .

ثم تنهد الطبيب قال : – مسكينة مدام موجرانيم .

– لم تتكلم عنها بهذه اللهجة .. ؟

– بسبب ما حدث .. يلوح لك انك تجهل التفاصيل . لقد تلقيت منها مساء الامس خطابا أدهشنى اذ أنبأتنى بأنها رجعت الى فرنسا .

فقال سيمون فى دهشة :– مدام موجرانيم فى فرنسا؟

– نعم . وقد ضربت لى موعدا للمقابلة فى هذا الصباح فى مكان غريب جدا .

– أى مكان هذا . ؟

– محال ان اذكره لك الا اذا نقدتنى ألف فرنك .

– هى لك فتكلم .

– على ظهر مركب اسمها مانكالانت بالقرب من ورشة برتو فى باسى . – يا الهى . ! هذا عجيب . !

– وأعجب من هذا انها وقعت خطابها باسم جريجوار .

– جريجوار . ! ولكنه اسم رجل . !

– نعم . وقد ذكرت فى خطابها ان هناك خطرا يتهددها

وانها تخشى أن يفتك بها رجل جمعا معا ثروة كبيرة ويريد أن يظفر بحصتها وطلبت منى أن أقابلهـــا لتستشيرنى فى الامر .

– وهل ذهبت الى الموعد المضروب .. ؟

– بكل تأكيد . لكن مما يؤســـف له انى وجـــدت جريجوار أى مدام موجرانيم ميتة خنقا .

– ميتة خنقا .. هذا فظيع . !

– وقد عرفت اسم الرجل الذى قتلها .. فقـد ذكرت فى خطابها انه يدعى سيمون ديودوكيس ووصفته لى وصفا دقيقـــا .

وأخرج الدكتور جيراديك الخطاب من جيبه وأخذ يقرأ أوصاف القاتل قائلا :

« انه متقدم فى العمر .. فى نحـــو الخمســـين .. ويتظاهر بالجنون .. ويضع على عينيه نظارات صفراء .. ويلف رأسه وصدغيه بوشاح ليخفى به ملامحه .. وله لحية تامية . »

وطوى الطبيب الخطاب ووضعه فى جيبه ثم أخذ ينظر الى سيمون ويقول فى كلمات بطيئة وهو يتفرس فيه :

– فى نحو الخمسين من العمر .. على عينيه نظارات صفراء .. ويلف وجهه بوشاح .. ان هذه الاوصاف تنطبق عليك . فأنت اذن سيمون ديودوكيس .. انك قاتل وتريد ان تهرب من البلاد . وفى هذه الحالة يزداد تعرضى للخطر . ويزداد الثمن تبعا لذلك .

فقرض سيمون على أسنانه وقال : كم تطلب . ؟

– مليون فرنك . !

– هذا ظلم .. هذا استغلال فاحش .. انى لم اقتل مدام موجرانيم ان الذى قتلها سنغالى يدعى فابون .. وهو الذى خنقنى أيضا .

فقطب الطبيب جبينه وقال :

– فابون .. فابون .. يخيل الى انى سمعت هذا الاسم

– انه سنغالى مبتور الذراع .

– وعندما حاول ان يخنقك قتلته طبعا . ؟

– لقد كنت فى حالة دفاع عن النفس .

– فليكن .. انك قتلته على أية حال .

– ماذا تعنى . ؟

– اسمع يا سيدى .. عندما خرجت من المركب لقيت نفرا من الجنود المشوهين يبحثون عن رفيق لهم يدعى فابون وعن ضابطهم المسمى الكابتن بلفال وعن صديق له كان فى رفقته كما كانوا يبحثون عن سيدة تسمى كورالى . وقد اختفى هؤلاء الاشخاص جميعا . وقد سمعت هؤلاء الرجال يتهمون من يدعى سيمون ديودوكيس بأنه السبـــب فى اختفائهم وفى الحالة لابد ان يرتفع الثمن الى مليونين من الفرنكات .

فصاح سيمون قائلا : – هذا نصب . ! هذا احتيال!

– يجوز .. انى فى بعض الاحيان أحب ان انصب .

– واذا رفضت أن أنقدك الثمن . ؟

– أخطرت البوليس بأمرك تليفونيا فيقبض عليك على الفور وتنشق .

وبعد صمت قصير قال سيمون :

– قبلت . سأنقدك مليونى فرنك . ولكن ما الذى يضمن لى انى سأنجو وأن السلطات لن تكتشف ان الجواز مزور ؟

ـ انقذنى مليونا الان . وانقذنى المليون الثانى بعد ان تصل سالما الى بلادك . ولكن أين المال . ؟

ـ انه فى مخبأ أمين لا يمكن ان يهتدى اليه مخلوق .. لقد أودعت عند جريجوار أربعة ملايين من الفرنكات مخبأة فى المركب فيمكننا ان نذهب معا لانقذك مليون .

فابتسم الطبيب وقال :

ـ اذن فالاربعة ملايين فى المركب . ؟ ـ نعم .

ـ انى لن أقبل شيئا من هذا المال .. لماذا ؟

ـ أيمكنك ان تدفع ثمن الجواز من أموال لاتملكها ؟

ـ كلا بالطبع .. ولهذا سأدفع اليك من الاربعة ملايين

ـ واذا كانت هذه الاربعة ملايين ليست ملكا لك . ؟

فصاح سيمون قائلا :

ـ ماذا تقول .. ؟ هذه الملايين ملك لى . وهى مخبأة فى مركب فى مكان أمين . فضحك الطبيب وقال :

ـ وهذا المكان الامين عبارة عن أحذية قديمة ملقاة بلا مبالاة فى قاع المركب .. أليس كذلك . ؟

ـ كيف عرفت المخبأ . ؟

ـ لقد اكتشفته وها هى ملايينك فى هذا الدرج .

وفتح الطبيب درج مكتبه فظهرت فيه رزم الاوراق المالية فصاح سيمون : ـ انك لص .. ! انك لص !

ـ انك مخطىء يا صديقى فانى لست لصا .. لقد قالت مدام موجرانيم فى خطابها انها تهب لى كل مافى مسكنها فى حالة وفاتها وهذه المركب هى مسكنها . فهى حتى كما ترى ان استولى على هذه الملايين .. وما كان لى أن احتقر هذه الارادة المقدسة فان للاموات حرمة واحتراما ومع ذلك فاننا أضعنا وقتا ثمينا .

وتناول الدكتور جيراديك ورقة جعل يكتب عليها أوصاف سيمون التى سيضمنها الجواز قائلا :

ـ العمر خمسون سنة .. نظارات صفراء .. لحية طويلة . ولكن ما هو الاسم الذى اختاره لك . ؟ انك طبعا لا تريد أن أسميك سيمون ديودوكيس . أو أرماندبلفال ؟ اذن ماذا اختار . ؟ هذا . ؟ ذاك . ؟ كلا .. نعم . هذا هو الاسم المناسب .

وخط اسما على الورقة فصاح سيمون فى انفعال :

ـ ماذا سميتنى . ؟

فلوح الطبيب بالورقة أمام عينيه فلما قرأ سيمون هذا الاسم حتى هتف قائلا فى غضب وخوف :

ـ لماذا أطلقت على هذا الاسم . ؟

فأجابه الطبيب فى هدوء : ـ لانه اسمك الحقيقى .

ـ رجل واحد فى هذه الدنيا هو الذى يستطيع أن يكتشف اسمى الحقيقى . رجل واحد هو الذى يستطيع ان يكتشف مخبأ الملايين . فهل انت هذا الرجل . ؟

فابتسم الطبيب وقال : ـ لنفرض انى هذا الرجل .

فصاح سيمون فى صوت متهدج :

ـ انت ارسين لوبين . ؟ انت ارسين لوبين . ؟

فانحنى الطبيب فى احترام وقال :

ـ اننى ارسين لوبين .. وانى دائما رهن اشارتك .

ـ يا الهى . ! لقد هلكت . ! انت ارسين لوبين .. انى هالك اذن ؟ فضحك لوبين وقال :

ـ أظننت أيها الغبى ان لوبين وهو الرجل المحنك المجرب يمكن ان يقع فى الفخ الذى نصبته له . ؟ انى لم أكد أدخل القاعة حتى علقت مصباحى الكهربائى بخيط فى الستار

فأخذ الخيط يهتز والمصباح فيه ، فلما نظر باتريس الى داخل القاعة ورأى الضوء يتراقص ظن انى ممسك بالمصباح فأغلق الباب ظنا منه انى فى داخل القاعة . وكذلك ظننت انت حين سلطت عليها الغاز مع انى كنت أراقبك سرا .

وقد اخطرت رجال الكابتن بلفال بأنه محبوس فى القبر .. فأخرجوه منه وتبعتك أنا الى مسكن مسيو (فاشرو) ووقفت فى الطريق أرقب خروجك .. فلما طالت غيبتك دخلت العمارة ودنوت فى حذر من غرفة فاشرو فلم أسمع منها صوتا فولجتها .

وحانت منى لفتة الى الصحيفة الموضوعة الى جانب التليفون فرأيت رقما مدونا عليها فخطر لى ان من المحتمل ان تكون انت الذى تحدثت تليفونيا مع هذا الرقم . ولم أر ما يمنع من ان أجرب حظى فطلبت نفس الرقم وقلت : « انى انا الشخص الذى تكلم منذ قليل . ولكن مما يؤسف له انى نسيت العنوان فما هو من فضلك . ؟ » فأجابنى الرجل بأن العنوان هو « الدكتور جيراديك بشارع مونمورانسى » فأسرعت من فورى الى عيادة الطبيب وقد تأكدت ان فى نيتك الهرب لانى لا جهل شهرته فى تزوير جوازات السفر . ولما جاء الطبيب من الخارج أريته شارة البوليس وامرته بأن يتنحى عن مكانه لى . وتنكرت لأغير هيئتى وقابلتك على اعتبار انى أنا الطبيب . ثم ضحك وقال:

ـ ومع ذلك فانى على استعداد لان أزودك بجواز سفر يبيح لك الذهاب الى الجحيم بأول قطار . فهيا اسرع ولا تضيع الوقت .

ثم فتح بابا داخليا يقع الى يمين الغرفة وقال :

ـ تفضل يا كابتن باتريس

فلما دخل الكابتن نظر الى لوبين وقد أدهشه تنكره فقال له هذا :

ـ يظهر انك عرفتنى .. اننى صديقك ارسين لوبين .. وهذا هو سيمون العجوز . انه يطلب ان يقابلك . وهذا من حقه لأنه أبوك .

ثم تحول الى سيمون قائلا :

ـ وهذا هو ابنك أيها الاب الجحود

فلم يكد باتريس يرى سيمون حتى أخرج مسدسه وصوبه اليه وهو يقول :

ـ اذا لم ترشدنى على الفور الى مخبأ كورالى قتلتك كالكلب حقير .

فقال لوبين : ـ أتقتله وهو ابوك . ؟

ـ ابى أو غير ابى .. يجب ان يتكلم والا قتلته . ؟

ـ لا داعى اذن لارتكاب هذه الجريمة

وفتح لوبين بابا داخليا يقع الى اليسار وقال :

ـ تفضلى يا ماما كورالى .

وما رآها الكابتن باتريس حتى استولت عليه الدهشة وخف اليها فضما الى صدره ثم تحول الى لوبين قائلا :

ـ اذن فقد انقذتها . ! اذن فقد انقذتها . !

ـ طبعا . أما سيمون فامتقع لونه وقال :

ـ يا الهى . ! هل اهتديت الى مخبأ الذهب . ؟

ـ بكل تأكيد .. فلا شىء فى الدنيا يمكن ان يستغلق على ارسين لوبين .

ولأن استمع الى يا كابتن فسأميط اللثام عن شىء يهمك، ان هذا الرجل المدعو سيمون ديودوكيس ليس اباك .

ـ ليس أبى . !

ـ نعم .. لقد انتحل أبوك فعلا اسم سيمون.

ديودوكيس ولكنه قتل ·· والصرخات التى حملتها اليك اسلاك التليفون انما كانت صرخات ابيك ·

ـ ومن الذى قتله ؟

ـ هذا الرجل ·· وقد انتحل اسمه وتنكر على هيئته

ـ ولكن من هو اذن هذا الرجل · ؟

ـ انه ·· انه ايساريس بك

فصاح باتريس وكورالى فى وقت واحد !

ـ ايساريس بك · ! غير معقول · ؟

ـ بل تلك هى الحقيقة ·

واقترب لوبين من سيمون فنزع نظارته ووشاحه وجذب لحيته فاذا هى مستعارة · وأتى باسفنجة مبللة بالماء فمسح بها وجهه فاذا بسيمون العجوز قد اختفى وحل مكانه ايساريس بك ·

واسترسل لوبين قائلا :

ـ عندما وشى الكولونيل فاكهى بايساريس بك لم يكن فى وسعه ان يهرب والا استحال عليه أن يأخذ الذهب معه ·· فما كان منه الا ان عزم على قتل سكرتيره سيمون ديودوكيس لينتحل شخصيته وفعلا قتله فى الصباح عندما فاجأه وهو يخاطبك تليفونيا ولم ينتظر اتمام الحديث حتى يحول دونه ومكاشفتك بالسر ووضع رأسه فى لهب المدفأة ليشوه ملامحه حتى لايعرفه أحد · وصعد الى غرفة زوجته ثلاث مرات وعند خروجها فى الساعة الحادية عشرة صاح فى صوت مسموع ينادى سيمون ويأمره بمرافقة زوجته فى ذهابها الى المستشفى · حتى يضمن بذلك ان تشهد زوجته ان زوجها كان على قيد الحياة لغاية الساعة الحادية عشرة · وبعد دقائق لحق بزوجته فى الطريق متنكرا على صورة

سيمون · وبعد الظهر بقليل اكتشف البوليس الجثة مشوهة الوجه والرأس بسبب احتراقها فى المدفأة فكان طبيعيا ان يتبادر الى الاذهان انها جثة ايساريس بك لان المجرم كان قد ارتدى طبعا ثياب سيمون والبس الجثة ثيابه هو أى ثياب ايساريس بك · أما مسألة الساعة التى وجدت متوقفة وملقاة الى جانب الجثة فاتخذت دليلا على ان الجريمة وقعت فى ساعة وقوفها أى بعد الظهر فى الوقت الذى كان فيه سيمون المزيف جالسا فى حديقة المستشفى وبذلك ضمن ايساريس ان لا يشتبه فيه أحد بصفته سيمون بأنه هو القاتل · كما ضمن من جهة أخرى ان لا يكتشف احدان الجريمة ارتكبت فى الساعة السابعة صباحا أى حين سمعت انت الصرخات فى التليفون · فما رأيك فى هذا كله ياكابتن ؟

ـ رأيى اننا كنا ازاء لغز معقد فلولا ان الاقدار ساقتك الينا ما استطعنا ان نميط عنه اللثام ·· لقد سمعت عنك كثيرا يا مسيو لوبين أما الآن فعرفت ان ما يقال عنك دون الحقيقة بمراحل ·

واخرج لوبين مسدسا وقدمه الى ايساريس بك وهو يقول : ـ انك رجل شجاع يا ايسايس بك ولايمكن ان ترضى الهزيمة · ان زوجتك كورالك تحب باتريس ·· والملايين الاربعة أخذت منك ·· وأكياس الذهب اكتشفت وستعاد الى الحكومة ·· فهل فى نيتك ان تقضى ما بقى لك فى الحياة تتحسر وتتعذب يا ايساريس بك هو رصاصة تستقر الوحيد من هذا العذاب يا ايساريس بك هو رصاصة تستقر فى دماغك وهانذا أقدم اليك مسدسى لتنتحر ولن اطالبك بثمن الرصاصة · وضغطة صغيرة على الزناد تنقذك من عذاب الهزيمة · وتنقذك من المشنقة بسبب قتلك فاشرو وفابرون

.. ضغطة خفيفة تكفى لانقاذك فهيا ولاتتردد . انك رجل شجاع .. وسنضع على قبرك اكليلا جميلا من الورد .. فهيا ولا تتردد ..

وفى حركة يائسة تناول ايساريس بك المسدس واطلق النار على رأسه فخر صريعا . فقال لوبين :

ـ أنا الذى دفعته الى الانتحار . وهذه فى اعتقادى حسنة ستمحو ما سلف من سيئاتى . فاذا قيل لكم فى يوم من الايام ان ارسين لوبين دخل الفردوس فلا تستغربوا . !

الفصل التاسع عشر

قبل الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم كان الكابتن باتريس بلفال يتمشى على ضفة نهر السين بالقرب من قرية باسى تلبية للموعد الذى ضربه له ارسين لوبين . وبعد قليل وقفت سيارة نزل منها القاضى مسيو ماليون فأقبل عليه قائلا :

ـ ها أنذا قد حضرت فى الموعد الذى حددته لى ياعزيزى الكابتن .

ـ ولكنى لم أحدد لك موعدا . !

ـ ماذا تقول ؟ ؟ وهذا الخطاب الذى ارسلته لى . ؟

واخرج من جيبه خطابا قدمه اليه وعليه توقيع الكابتن باتريس وهذا نصه :

« لغز المثلث الذهبى أميط عنه اللثام .. واكياس الذهب رهن اشارتك الآن .. فأرجو ان تتفضل بمقابلتى فى الساعة السادسة على ضفة النهر فى باسى على ان يكون فى رفقتك عشرون جنديا توقف نصفهم قبل منزل (ايساريس بك) بمائة متر . والنصف الثانى بعد المنزل بمائة متر .

« كابتن باتريس بلفال »

وتمتم باتريس يقول :

ـ انه خطاب مزور وان كان الخط لايكاد يختلف عن خطى

ـ ومن الذى كتبه اذن . ؟

ـ الرجل الذى حل طلاسم المثلث الذهبى .. والذى أنقذنى وأنقذ كورالى أكثر من مرة .

ـ وما اسمه . ؟

ـ ليس لى أن أصرح بهذا الاسم دون استئذانه .

ـ اننا فى زمن الحرب يا عزيزى الكابتن . وليس من المصلحة العامة اخفاء مثل هذه المعلومات .

فارتفع صوت يقول :

ـ بقليل من التفكير تستطيع يا مسيو دى ماليون ان تكتشف الاسم .

وكان المتكلم رجلا يرتدى ثيابا شبيهة بثياب رجال الدين وقد أقبل عليهما فقال باتريس :

ـ هذا هو صديقى الذى كنت اتحدث اليك عنه وقال لوبين ان الوقت ضيق يا مسيو دى ماليون ولهذا سأكل الى الكابتن باتريس مهمة سرد الحوادث بتطوراتها المختلفة ولن اعرض فى حديثى الا لما كان جوهريا . ولهذا يكفى ان أقول لك ان فابون قتل .. وكذلك جريجوار .. .. أو بعبارة أخرى مدام موجرانيم . والبواب فاشر وأيضا .. وأخيرا سيمو ديودوكيس .

فصاح مسيو دى ماليون فى دهشة :

ـ سيمون ديودوكيس قتل . ؟

ـ انتحر يأسا حين عرف اننا اكتشفنا مخبأ الذهب .. واكياس الذهب فيما اعتقد هى الشىء الذى يعنيك بصفة خاصة .

ـ هذا صحيح .

ـ اذن هيا بنا لاريك المخبأ .. لاريك المثلث الذهبى .

ومشوا بضع خطوات حتى انتهوا الى السلم الحجرى المفضى الى مرسى السفن المهجور .. فتحول لوبين الى صاحبيه وقال :

ـ هذا هو المثلث الذهبى .

فحملق مسيو دى ماليون فى وجهه قائلا :

ـ المثلث الذهبى . ؟ انى لا أرى شيئا .

ـ أغرز عصاك فى الارض . نعم هنا .. فى هذا الكوم من الرمال . ان تحت هذا الكوم من الرمال ثمانمائة كيس مملوءة بالذهب . !

ـ عجبا . ! انى لا أصدق هذا . !

ـ بل تلك هى الحقيقة .. ان لايساريس بك عقلية عجيبة وقدرة فائقة . فهو لا يخفى الذهب فى كهف أو فى سرداب تحت الارض . لان أول ما يخطر ببال الباحث ان الذهب لابد ان يكون مخبأ فى أماكن من هذا القبيل ... فى كهف أو فى سرداب .. أو فى حفرة تحت الارض .. أوفى مكان يمكن ان يوصف بأنه « مخبأ » ولكن بدلا من ذلك وزيادة فى التعمية والتضليل أخفى ايساريس بك الذهب تحت كوم من الرمل على قارعة الطريق .. كوم يلعب فوقه الاطفال .. وينام عليه الصعاليك والمتشردون .. كوم لايمكن ان يخطر ببال مخلوق ان تحته ثمانمائة كيس مملوءة بالذهب .

لقد بنى (اساريس بك) هرما صغيرا من الحجارة جعل قاعدته جدار السلم .. وملأ هذا الهرم بأكياس الذهب ثم غطاه بالرمل .

ـ ولكن أين المنفذ . ؟

ـ عند أسفل هذا السلم الحجرى .. اذ يكفى تحريك هذه الدرجة لتنفتح فجوة فى الجدار تفضى الى جوف الهرم

وقاد لوبين صاحبيه الى المنفذ السرى ففتحه وأراهم أكياس الذهب قائلا :

ـ وفوق هذا الاكياس كانت ترقد ماما كورالى عندما حبسها سيمون فى جوف الهرم .

فقال دى ماليون :

ـ الحق انها فكرة شيطانية .. ! اذ كيف كان يمكن ان يخطر للانسان ان الذهب مخبأ تحت كوم من الرمل ملقى على قارعة الطريق . ؟

ـ ومن أجل هذا اختار (ايساريس بك) هذا المخبأ دون سواه . كما فعل حين اختار الاحذية القديمة الملقاة فى قاع المركب ليخفى فى داخلها أربعة ملايين فرنك .

ـ وهل عثرت على هذه الملايين . ؟

ـ طبعا . ـ وأين هى . ؟

ـ انها من حقى . انها المكافأة التى سأخص نفسى بها .

ـ ولكن ..

ـ لا فائدة من الجدل .. والان وداعا اذ يجب ان أغادر فرنسا الليلة .

ـ ولكن كيف ترحل يا سيدى دون ان نذكر لنا حتى اسمك ؟

ـ وأية فائدة فى ذلك . ؟ الا يكفيك انى ارجعت اليك الذهب وامطت اللثام عن اللغز الذى حيرك مدى عامين كاملين ؟

ـ ولكننا فى زمن الحرب ومثل هذا التكتم كفيل بأن يثير ضدك الريب والشكوك .

ـ فليكن فلست ابالى . اذ حسبى انى اديت واجبى

فصمت مسيو دى ماليون برهة ثم قال :

ـ فى هذه الحالة سأجدنى مضطرا بكل أسف الى ان اتخذ ضدك اجراءات شديدة ·

ـ لقد كنت أتوقع ذلك · ومن اجل هذا طلبت اليك ان تحضر وفى رفقتك عشرون من رجال الشرطة لاهون عليك أمر القبض على ·

ـ اذن اسمح لى ان استدعى جنودى

ـ افعل ما بدا لك يا سيدى

فمشى مسيو دى ماليون لكى يدعو رجال الشرطة الذين أمرهم بالوقوف عند قصر ايساريس بك تنفيذا للرسالة التى ارسلها اليه لوبين ممهورة بامضاء الكابتن باتريس ·

وأخذ لوبين بذراع الكابتن باتريس وهو يقول :

ـ هيا بنا الى المركب فان لى معك حديثا صغيرا

ولما احتوتهما مقصورة المركب قال الضابط :

ـ يجب أولا ان اعتذر اليك عن اغلاقى الباب عليك فى سلامك فقد غدرت بك بنذالة ·

ـ لا داعى للاعتذار لانك انما اغلقت الباب على المصباح لا على أنا ··

ـ اذن فلا نشكرك على انقاذك حياتى وحياة ماماكورالى

ـ ولا داعى للشكر ايضا لانى أجد فى هذه المغامرات نوعا من التسلية · ولكنى قبل ان انصرف احب ان اذكر لك كيف اهتديت الى المثلث الذهبى ·· قبل ان اتسلق الجدار لندخل الى الحديقة عندما وجدنا فابون قتيلا رأيت فى الخارج مثلثا مرسوما بالطباشير الى جانب الجدار · رسم منه ضلعان فقط · أما الضلع الثالث فكان عبارة عن الجدار نفسه · وقد وجدت فى جيب فابون قطعة من

الطباشير فأدركت انه هو الذى رسم المثلث وانه رسمه عمدا لكى أراه فماذا كان غرضه من ذلك· ؟انه طبعا يشير بهذا الرسم الى المثلث الذهبى وقد عجبت من عدم رسمه للضلع الثالث واكتفائه بالجدار ليكون بمثابة الضلع الناقص فقلت لنفسى : « من المحتمل جدا ان الضلع الثالث للمثلث الذهبى الحقيقى عبارة عن جدار » ولم يكن امامى فى هذه المنطقة الا جدار الحديقة وجدار السلم الحجرى الذى يفضى الى المرسى · واستبعدت على الفور جدار الحديقة لاسباب كثيرة أهمها بعده عن فوهة مجرى المياه المهجور مما يجعل عملية نقل الفوهة الى هذا الجدار شاقة متعبة جدا· فضلا عن استحالة نقل الاكياس عبد الطريق العام والناس يروحون ويجيئون لما فى ذلك من اثارة للشبهات وتنبيه للاذهان · فالمعقول اذن ان يكون المثلث الذهبى الى جوار فوهة المجرى وفى مكا تنعدم فيه أقدام المارة · ولما كان جدار سلم المرسى فى مكان مهجور ومجاور تماما لفوهة المجرى كان معقولا ان يكون الجدار حتى تبينت ان جزءا منه مجوف غير أصم · وكان هذا الجزء هو المنفذ الى المثلث الذهبى·

فقال الكابتن باتريس :

ـ الحق انه لولا حضورك لاستحال علينا حل هذه الطلاسم ·

فابتسم ارسين لوبين وقال :

ـ ويظهر ان القبض على هو جزائى على ذلك · وعلى رد ثلاثمائة مليون فرنك الى الحكومة · ! وهانذا اسمع لغطا اذ يظهر ان مسيو دى ماليون قد جاء مع رجاله للقبض على فأرجوك ان تسلمه هذا الخطاب · ووداعا · !

وتصافح الرجلان فى حرارة وخرج الكابتن باتريس بلفال الى ظهر المركب وترك ارسين لوبين فى داخل الغرفة وقد اغلق عليه الباب .

وبعد بضع دقائق صعد مسيو دى ماليون الى ظهر المركب فى نفر من رجال الشرطة . فقال للكابتن :

ـ أين صديقك . ؟

ـ فى هذه الغرفة .

وفتح مسيو دى ماليون الباب وهو شاهر مسدسه .

ولكن الغرفة كانت خالية .

فهتف قائلا : عجبا . ! اين اختفى . ؟

ورأى نافذة الغرفة مفتوحة فأطل منها فرأى غواصة تشق طريقها فى النهر متجهة الى ناحية البحر وعلى ظهرها ارسين لوبين وهو يلوح بمنديله لرجال الشرطة .

ـ لقد هرب . ! حقا انه رجل عجيب . ولا اكتمك ان قلبى لم يكن يطاوعنى للقبض عليه وانى لسعيد بأنه استطاع الفرار .

وقدم الكابتن باتريس الخطاب الى مسيو دى ماليون قائلا :

ـ لقد طلب الى صديقى ان اسلمك هذا الخطاب.

وكان الخطاب غفلا من التوقيع . وهذا نصه .

« معذرة اذا كنت قد اضطررت الى الرحيل قبل ان اصافحك وأودعك . ولكنك تدرك بطبيعة الحال الاسباب التى حفزتنى الى ذلك . كما انه كان من المستحيل على ان أصارحك باسمى . ولكننا قد نلتقى فى يوم قريب وعند ذلك ستعرف من انا . »

فطوى مسيو دى ماليون الخطاب قائلا :

ـ حقا انه رجل عجيب .. وقدير . ! واذا كان قد أبى ان يذكر اسمه فانى قد عرفته الان اذ ليس فى الدنيا رجلان من هذا الطراز .. انه لابد ان يكون .. لابد ان يكون ارسين لوبين !

وفى يوم زفاف كورالى الى الكابتن باتريس بلفال جاءهم طرد صغير مملوء بأحذية قديمة ممزقة . ولكنها مملوءة بالاوراق المالية .

وكانت قيمة هذه الاوراق أربعة ملايين فرنك .!

وكانت معها بطاقة صغيرة عليها هذه الكلمات

« هدية الزواج من صديق قديم » .

ارسين لوبين

(تمت)

للمزيد من الروايات و السلاسل و الكتب المتميزة
زوروا موقعنا
www.dvd4arab.com
تحياتي
therock1978